عندما نحب

اعتقال الطائي

الكتاب: عندما نحب (قصص قصيرة)

المؤلف : اعتقال الطائي

الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٥

رقم الإيداع : ٥٧٨٥ / ٢٠١٥

الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 – 977 – 493 – 213 – 7

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى – المقطم – القاهرة

ت فاكس ٢٧٢٧٠٠٤ (٠٢) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net

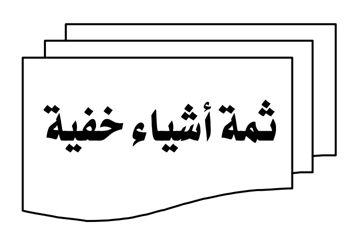
تصميم الغلاف : مصدق الحبيب



عندما نُحب

قصص قصيرة

اعتقال الطائي



أفاقتْ من حلم غريب. فتحتْ عينيها. استدركتْ حواسها، لكنها لم تكن تعي ما ترى، وراحتْ تطوف بنظرها حواليها بين النوافذ. لم ترَ شيئا، فلقد غرق الحقل والجبل والبيت في بحر من الحليب نفثته سماء الخريف المنذرة بقدوم الصقيع، مما سبب لها كدرا وخيبة أمل بالتنزه أو العمل في الحديقة قبل أن يهطل الثلج لتغفو الطبيعة تحت كفنه في سبات عميق.

بعد الفطور جلستْ في غرفة المعيشة قرب الموقد تحاور زوجها متأملة الرذاذ الكثيف، آملة بانقشاعه.

"لا جدوى"... رددَتْها بسأم.

تناول كل منهما كتابه، فغاب زوجها في روايته، وهي في مجموعة قصصية، فرحتْ باستلامها ـ مع توقيع الكاتب ـ.

وبالرغم من دفء المكان وحميميّته، إلا أنهما يشعران في هذا الجو الذي يفرض عليهما البقاء داخل البيت وكأنهما حبيسا سجن بعيد عن الطبيعة.

تسرّبَ إلى أذنيها صوتٌ غريب. وقفت لتتطلع من النافذة عبر الضباب الكثيف، فرأت أجسامًا مكورة وحركة مريبة بين سنابل الحقل راسمة صورة هلامية. تشتتَ الضباب بعض الشيء، وفجأة صارت حركة الجسمين المكورين واضحة وقريبة من السور. خروفان قد اختليا بعض الشيء عن قطيع الخراف الصغير المشبّع صوفه بالرذاذ.

كأنها لم ترَ مشهد الخراف هذا من قبل. راحت تتفرج عليه كظاهرة طبيعية نادرة. ضحكتْ ساخرة من عفويتها وطفولتها التي مازالت تحتفظ بها وهي في عامها السبعين.

هل نسيتْ سهلَ ريفِ المدينة الصغيرة، ولُدتْ فيها وتعلمتْ وأصبحتْ مدرّسة لأجيال عديدة حتى انتقالها إلى هذه القرية الجبلية حيث ينعمان بسنين التقاعد التي باتت مملة في أيام الشتاء المعتمة الطويلة، بعيدَيْن عن ضجيج الطلبة وحوارات المعلمين؟

هل نسيتْ مراسيم ذبح الخراف قبل أعياد الميلاد؟

وهل استطاعت خمسة عشر عامًا في هذه القرية أن تنسيها ذكرى يوم عُرسها وذبح العجل والخروف لوليمة زفافها؟

فوجئ الزوج بضحكتها إذ انتشلته من عالم الكلمات. راح ينظر إليها مستغربًا ومستفسرًا بنظراته عن سبب كركرتها. يحدق إلى الساعة محاولاً لفت انتباهها إلى الوقت، ينبغي عليها القيام بواجباتها المنزلية. لم يعد يملك ذاك النشاط، كان محسودًا عليه بين

أقرانه، فآلام مفاصل الركبة تكاد تقعده أيامًا دون حراك؛ وبالذات في أيام الخريف الرطبة.

التفتتْ نحوه. رأته يتعكز على يدِّ كرسيه ساعيًا للوقوف. أسرعتْ نحوه مادَّة يدها، لكن رجولته وغروره منعاه من قبولها. تدارك الموقف كيلا يجرحها قائلاً:

ـ لا أريد أن أكذب عليكِ، لا أقوى على الوقوف بسهولة، لكني وددتُ رؤية ما يضحككِ.

ـ أوه! لا شيء..

لقد أخفى حقيقة رؤيته هو أيضًا لمشهد الخروفين حيث انعكست صورته في زجاج النافذة المقابلة له.

سكتَ، واضعًا كتابه على المنضدة، ناظرًا إليها بحُبٍّ وحسد وهي تتجه بمشيتها الأنثوية نحو المطبخ مرددة:

ـ ثمة أشياء خفية يا عزيزي.

بودابست
١٣-١١-٢٠٠٥

• • • • •



- ١ -

في المدينة النائية، في الشارع الذي ربما لن يؤدي إلى نهاية أخرى غير المعبد... حملوا البخور. رددوا التعاويذ، حملوا معهم صمتهم، خوفهم.. حبهم وقدسيتهم للإله..

ها هو المعبد يطل من بعيد، يقترب منهم، والإله في انتظارهم.

يفوح عطر البخور من فضة الدخان، يدنو منهم.

همس مخيف كالفحيح.

- من سيكون قربان الليلة؟

هبطت نبضات القلوب، تلاشت وهم يؤدون الطقوس، وانتهى كل شيء.

- ٢ -

في كل مرة ومنذ آلاف السنين مات ويموت الآلاف.. بل الملايين، لكن في الساحة الشاسعة نصب "جندي مجهول" رمز الحرب والتضحية والسلام.

يجيء من بعيد موكب رجال مرموقين ببزّات أنيقة أُثقلتْ بعشرات الأوسمة. عليهم السير بهيبة ووقار لتأدية الطقوس. تهادى في الأفق صوت موسيقى النشيد الوطني. ربما تقشعر الأجساد، أو تدمع العيون. وقع الأقدام يضفي هيبة أكبر، وشيئا فشيئا وبخطوات مثقلة بحروب الزمن يقترب عجوز لينحني بخشوع مكللاً النصب بالزهور. غار رأسه تحت قبعته ولم يُر سوى انعكاس الشعلة في عينيه. يستقيم بتثاقل ويعود إلى من حيث أتى. تتسع الساحة. يظل الورد لتعبث به الريح.

ويبقى الجندي مجهولاً..

- ٣ -

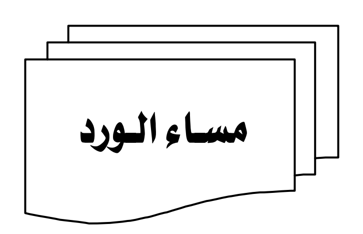
للمعبد قدسيته. للجندي المجهول هيبته. أما هما فقد جاءا من مدن بعيدة، تضمهما عربة تطوف بهما في شوارع تحتضن خباياها قدسية مبهمة، لا تعبق فيها رائحة البخور، ولا تتبعثر فيها أكاليل الورد.

حملا جسديهما فقط. انتشيا بسماع أغانٍ لا تشبه الفحيح ولا موسيقى النشيد الوطني. ربما لن تظل هذه العربة صامدة، شامخة كالمعبد، ولن تبقى أضواؤها متقدة كشعلة الجندي المجهول...قد تتهشم في ومضة عين.

تتوقف الكتلة الحديدية فجأة لتشهد طقوسا خفية يتردد فيها صدى الصمت المطبق
الذي تكسره تكّات الساعة منذرة بعدم البقاء. لم يجرؤ أحدهما على البدء بتأدية الطقوس المحرّمة التي تزرع الخوف في قلبيهما والحنين، أو الشعور بالذنب.
لا شيء غير قبلة متقدة قد يزهو الجسد بعدها أو ينطفئ.
وتنتهي الطقوس.

بودابست
١٣-١-١٩٨١

• • • • •



مساء الورد

ارتدت معطفها. أغلقت الباب، ثم أدارت المفتاح ثانية، وأسرعت لترش رذاذًا من عطرها المفضل. قفلت الباب وركضت لتلحق بالحافلة. نزلت عند محل بيع الزهور واشترت جورية حمراء. عدلت عن أخذ الحافلة أو الترام، لأن شمس الربيع اجتذبتها إلى البحيرة الصغيرة القريبة ومائها المتلألئ. أُخذتْ بالمنظر الساحر فأبطأت الخطى.

ـ مساء الورد !

تسّمرت أقدامها في الأرض، وشعرت بدفء الصوت يفجر سعيرًا في داخلها، كاد يفقدها قوتها، فجلست على المقعد الخشبي القريب وهي تحس بيده المرتاحة على كتفها. كانت على يقين أنه هو لا غيره. سألته بصوت متهدج :

ـ كيف عرفتني ؟

ـ من مشيتك وشعرك.

ـ ستة وعشرون عاما مضت، لقد اختفيتَ فجأة !

تلعثم. ارتجفت يداه. ابتلع ريقه بصعوبة:

ـ لم أختفِ، عشر سنوات أكلت مني الحرب. قالوا: لقد غادرتِ الوطن.

راحت تتفحص وجهه الشديد السمرة وتغور في عينيه الخضراوين

ـ هل تزوجتَ؟!

ـ نعم.. هي التي بدأت العلاقة، كنت حينها وحيدًا وبحاجة إلى امرأة.. فتزوجتها.. إنها طيبة ومجنونة بي.

ـ تحبها ؟

ـ نعم، ولكنك تعلمين أن المحبة غير العشق... وأنتِ؟

كاد صوتها يكون همسًا.

ـ ما زلتُ وحيدة..

حاولت رفع صوتها كي تخفي عذاباتها لتسأله:

ـ هل لديكما أولاد ؟

ـ لا... آثار الحرب..

فجأة صار هاجس النبذ يساورها فشدت يدها على ساق الجورية لتصرخ :

ـ لقد خدعتني !!

قطرة دم صغيرة سقطت على الأرض. ركض الرجل العجوز الذي يجلس على المقعد المحاذي لها ليضع يده على كتفها مناديًا عليها بهدوء :

ـ سيدتي.. سيدتي معذرة.. لقد جرحت الشوكة يدك !

جفلت. فتحت عينيها ورأت يد العجوز تحط على كتفها. الشوكة انغرست في إصبعها والورقة مبلولة بدمها. اضطربت واعتذرت.

ـ معذرة.. يبدو أنني سهوت أو غبت في غفوة.

راحت تلملم أجزاءها. لم تبال بجرحها. نهضت. جالت بطرفها في المكان. تحولت أشجار الصفصاف الحزين إلى نخلات وهو هناك يتكئ على إحداها كعادته عندما كان ينتظرها حاملا الجورية ليقول لها عندما تمر من أمامه عند الغسق :

"مساء الورد "...

تبعثر كل شئ فيها. تأخرت على الموعد. تذكرت كلمات أمها " إن الله وهب البشر نعمة النسيان كيلا يموتوا حزنا على فقدان أحبتهم " أين النسيان ولماذا لا يمحو الذاكرة ؟!!

وصلت المبنى العالي. كان المصعد الكهربائي معطلاً، عليها أن تصعد تسعة طوابق على الأقدام وبسرعة. تداخل صوت لهاثها مع دقات قلبها. ضغطت على الجرس. ما من مجيب، صارت تضرب على الباب. أثارت ضوضاؤها غضب الجار فخرج ليخبرها بأن صاحبة الدار قد نقلت إلى المستشفى، فسألته بصوت مرتجف :

ـ متى ؟

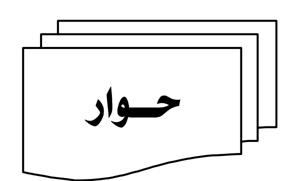
ـ في الساعة الخامسة.

استفسرت عن مكانها، ونزلت تجر خطاها لتبحث عنها.

ـ اللعنة على الوردة والبحيرة والنخلة، كان موعدي معها في الخامسة.
الذاكرة هي كنه الوجود لا يمكن الهرب منها، لن تنطفئ إلا في القبر.
ماذا أقول لها ؟ أخّرتني الوردة ؟
دخلت المستشفى، وراحت تستفسر عن مكان صديقتها لكنها نسيت اسم العائلة مرددة أكثر من مرة : إنها مارتا.. مارتا في السابعة والستين من عمرها، وجاءها الجواب كصفعة :
ـ نعم فهمت، إنها في غيبوبة في غرفة العناية المكثفة.
شكرتهم. استدارت بسرعة كيلا يروا دموعها وغصة تخنقها، لكنها مازالت متمسكة بالوردة، أخذتها معها، لم تسرع هذه المرة، فليس هناك من ينتظرها.
وصلت البحيرة. لا الشمس ولا اللآلئ، سوى بطة تخفي فراخها تحت جناحيها مختبئة بين عيدان القصب. رفعت الورقة المبلولة بدمها عن الوردة ورمت الجورية في البحيرة. ثم دخلت شقتها. نظرت في المرآة. رأت وجهها المتعب و دمدمت:
" كان يومًا عصيبًا ".

بودابست
١٥-٢-٢٠٠٥

● ● ● ● ●



حــوار

أنهت مهمتها في إعداد الحوار مع الفنان. لم يكن حوارًا فقط بالنسبة لها، بل معايشة المكان والزمان أدت إلى إنهاكها. كان حنينها يتجسد في ذرات الرمل الحارة يوم داستها قدماها الصغيرتان وهي في السادسة من عمرها. ارتعدت وقتذاك خوفا من أن تنزلق قدماها في جوف أحد القبور التي أكلها الزمن. مرضت حينها واكتوت بنار حمى الخوف.

نهضت بإعياء. ثمة شيء يثقل صدرها. في انتظارها عمل آخر، لم تقو على إنجازه في هذا الوقت المتأخر من الليل. حملت أوراقها ومجموعاتٍ شعرية إلى السرير علّها تستطيع قراءتها، لكن غمامة سوداء انسدلت على عينيها، وبالرغم من أنها سعت لفتحهما، لم ترَ سوى شررٍ يتطاير أمامها ويتلون بألف لون. رفعت ذراعها باسطة كفها تبحث عن شيء تلامسه، محاولة التشبث به.. لا شيء غير وردة صفراء، أخذتها بعيدا، ذاهبة بها إلى الرمال الذهبية، تمشي حافية القدمين، كلما رفعت إحداهما ابتلع الرمل الثانية، يلامس ثوبها الطويل برقة كل قبر تمرُّ به. وشّحت رأسها بحجاب أمها

الأسود الذي تلفعت به في شتاءات المدن البعيدة الباردة. وتهادى في الأفق صدى صوت أمها في أول مكالمة هاتفية يوم سألتها:

ـ بردانة؟

لم تشعر بحرارة الرمل الذي تضمخت به، فسعير الجسد طغى على كل شيء، رئتها تنفث نارا وأناتٍ أيقظت النائمين في لحودهم. جثمت على ركبتيها باحثة عن التي غابت دون وداع. لم تجدها.

زحفت.. شدت قبضتها على الرمل عبثا. سقطت الوردة عند أحد القبور. رفعت رأسها فرأت شاهدة كُتبَ عليها " مراثي الفرح.. وردة الكلام..بعيدا عن الحافة ".

أصغت إليه..

هل جئتِ؟

أشم العطر من الثوبِ

ـ أجل جئت أبحث عن أحبتي، ها أنا عبثا أتخبط في الرمال.

هذي أنت موشحة بالحلم وبالريبة

هذي أنت تمرين سريعا

تتعثر أقدامك حافية

ببقايا أملٍ يتناثر في المنعطفات

أرخت برأسها على الشاهدة تشم عطر الوردة الصفراء..

ـ ألا تستطيع النهوض؟ أريد أن أحدثك عن الأصدقاء.

ضحك ضحكته المألوفة الساخرة وقال:
من أجلك يا سيدة الفرح الخائف
سأغازل موتي
وأسمّي الأحزان سعادة.

ـ وهل ستظل مفترِشًا التراب، وملتحِفًا بياض الكفن؟

ـ ناديتك: أني سأشيخ هنا،
ويظل هواي فتيًا عندك.

جفلتْ. ارتجفتْ الوردة في يدها.
ـ هواك؟ لم تبحْ لي به.

ـ وقيل: لو تحبها تموتْ
ويوم لا تحبها تموتْ
فغبتُ في خوفي
والتحفتُ بالسكوتْ

ـ عرفت كل شيء بعد غيابك من الأصدقاء.

ـ ها أني نمت على سيفٍ لا يعشق غيري
وكم أسعدني أنك
أدركتِ اليوم أمورا تلغي الأمس،

راحت تفرك عينيها، لتبعد الغمامة السوداء ظانة أنها ستراه.

- لزهرتِك الآن أعينها الضارية
تترصدني
وتفتش عني
وإذ لا تراني
تحاصر ظلي وتبكي.

انزلقت قدماها على الرمال وشيئًا فشيئًا اندثرت في لجة دوامة ذهبية، وصارت تتلقف الهواء وحشرجة أوصدت باب الكلام. اتكأتْ على الشاهدة وكمن يصرخ في بئر انبعث صوتها من الأعماق:

- أين أنتم هل تروني دمًا ولحمًا، يا من جئت من أجلكم ؟

- إني أبرأُ من جروحي
لو لمستْني عرضًا يداكِ
يشهقُ بي محضُّ أملْ
أني يومًا ما
قّد أراكِ !

- ها أنت تراني الآن، جئت أبوح لك بسر وهو: كنتَ أذكى الرجال. لقد امتلكتَ اسمي، هذا ما ردده الأصدقاء في الرثاء.

كانت تعتقد أن كلامها سيسرّه لكنها خُذلت عندما قال:

- مرة غافلتني
من أحب
خبأتْ خنجرًا في ثيابي
ثم مدّتْ يدًا
رسمتْ زهرة من دمي
ومضتْ تبحث عمن سواي.

صارت تدور في دوامة هبطت بها إلى الأعماق فانتفضت تصارع التيار ثم استقرت على حافة هوة ظلت تتأرجح بوقفتها حتى انزلقت ثانية على الرمال المحرقة.
رفعتْ رأسها نحو السماء فداعبتْ نسمة باردة مفاجئة وجهها منذرة بالمطر.

ناداها لتعود قبل أن يهطل المطر:
- لكني حين أصيح:
يا قلبي النازف لملمْ جرحكَ في منديل أبيض
قدّمه إلى معبودتك المملوءة نار... واسكتْ
أو جرب أن تنسى أنك ميتْ

وهطل المطر فأحست وكأنها خرجت من النار تركض في مرج ندي أخضر، وقطرات المطر تنساب بنعومة عبر وشاحها على رقبتها متسللة قطرة.. قطرة إلى ظهرها وبين نهديها.

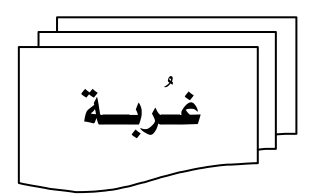
انتعشتْ.

فتحت عينيها ترقب الأشياء. تحولت الحمى إلى ماء يرشح من جلدها.. تأملت المكان.. الورود الصفراء في المزهرية ما زالت تحتفظ بجمالها وهي مجففة. أوراق الحوار تناثرت قرب السرير وكتب الشعر عند رأسها. فتحت الكتاب وأكملت قراءة القصائد.

بودابست
٦-٥-٢٠٠٦

• • • • •

* شعر حسين الحسيني



غُربة

ما كان عليها أن تجلب تلك الحقيبة الكبيرة، لولاها ما تعثرت وسقطت، لكنها لم تأبه للوجع الذي كاد يقصم ظهرها، فنهضت وواصلت جريها لتلحق في اللحظات الأخيرة بقطار العاشرة المنطلق من فرانكفورت.

وقفت في مكانها فرحة بلحظة الانتصار، تراقب المحطة المبتعدة رويد... رويدًا حتى اختفت. أحست للحظة بالغثيان. تماسكت مستنشقةً نفسًا عميقًا، ثم أخرجت البطاقة من جيبها باحثة عن رقم العربة. ظلت تترنح مع حقيبتها. الممر ضيق والشاب الأشقر يعانق فتاته دون أن يعي وجود الآخرين.

وقفت مبتسمة، تعيش غبطة الفتاة المتوردة الوجنتين إذ فتحت عينيها بغتة. لمحت المنتظرة، فابتعدت قليلاً كي تفتح الطريق أمامها.

جرجرت قدميها بخطى متثاقلة حتى رأت الرقم. دخلت العربة.

امرأة على اليمين ورجل على الشَمال، لمحت في الفور نظرته إليها. هبّ لمساعدتها، راكنا حقيبتها. ابتسمت وشكرته بالإنجليزية.

كان شاهقا، لونه أقرب إلى البياض منه إلى السمرة. كانت عيناه عسليتين ولون شعره بنيًا فاتحًا.

شغلت مكانها قبالته، لائذة بالصمت، وهي تسدل جفنيها عاضة على شفتها من شدة الألم. راحَ يختلس النظر إليها، وكلما فتحتْ عينيها تشاغل بقراءة صحيفته.

كل شيء متعب، المقعد، والمكان الضيق المحتل بأرجل الركاب الطويلة، جو العربة الخانق، والألم الذي يسري في ظهرها. خلعت معطفها القصير، مكوّرة منه وسادة أسندت عليها رأسها محاولة النوم، أو على الأقل الهرب من الوجع، لكن ذلك لم يدم طويلا، إذ سرعان ما قدم المفتش ليطلب البطاقة. جفلت وبحركات مضطربة بحثت عنها في جيب معطفها. أخرجتها. سقطت من بينها ورقة على أرضية العربة. انحنت لتلتقطها فمد يده مسرعا لتناولها. رمق الحروف على القصاصة. ناولها إيّاها وبقي في حالة ذهول.

أخذت الورقة منه، ودسّتها في حقيبة يدها متأففةً. ثم عادت إلى وضعها السابق. انفتح زرٌّ من أزرار بلوزتها دون أن تدري، كاشفًا عن قلادة فضية عتيقة، تدلت بين نهديها. ركَنَ الجريدة جانبًا وراح يتأملها، غائرًا في عتمة شعرها المنسدل على بلوزتها.

شقّت الشمس طريقها عبر النافذة نحو عينيها. فتحتهما. بدا لونهما أخضرَ. أفاقت، ناظرة إلى ساعتها ومندهشة للوقت الذي مر سريعًا. اعتدلت بجلستها. زررت بلوزتها. رشفت جرعة ماء من

قنينة صغيرة احتفظت بها في حقيبتها، فوجدت قصاصة الورق طريقها إلى يدها ثانية. نفدَ صبره. تطلّع هو الآخر إلى ساعته. لم تبق سوى مسافة نصف ساعة إلى المحطة القادمة. باغتها بالسؤال بالإنجليزية:

ـ هل تتكلمين العربية ؟

ـ نعم.

سألها عن بلدها فأجابت:

ـ من العراق.

لاحتْ على وجهه البهجة فصاح كطفل:

ـ أنا أيضا..

زمّت شفتيها أسفًا واعتصر الحزن الذي طفا على نبرة صوتها، لأنها فضّلت النوم على ابن بلدها.

ـ من أين من العراق؟ ـ سألها.

ـ من الوسط. وأنتَ؟

ـ من الجنوب.

ـ آه! شط العرب ؟

ـ نعم من البصرة.

ـ وهل تقيم هنا؟

ـ أجل.

أدركا أن الوقت يداهمهما فصار الحوار بينهما سريعًا يتردد كالصدى.

ـ ماذا تفعل؟

ـ أنا كاتب، زوجتي المعيل الرئيسي، لنا طفلان، وراتبها لا يكفي لسد حاجاتنا.

لذا أعمل في غير اختصاصي.

ـ أحب القراءة. مازلتُ مسحورة بشعر بدر شاكر السياب، ارتبطت صورة المطر

والخليج والشناشيل بقصائده.... أكون سعيدة لو قرأتُ لك.

ـ أشارك الآن في مؤتمر أدبي، أحمل بعضا من كتبي، سأكون مسرورا بتقديمها لكِ.

ـ جئتُ في مهمة عمل لبضعة أيام، باستطاعتي قراءتها وإعادتها لك.

ـ هل لي أن أعرف من أين جئتِ وأين ستقيمين الآن؟

أخرجت العنوان بأصابع متلهفة ومرتبكة.

ـ جئت من براغ..

سجل العنوان.

ـ هل أستطيع الاتصال ليلا؟

ـ ممكن.

سرقهما الحديث، ولم يشعرا بمسافة الطريق إلا من هزة العربة المتوقفة فجأة منذرة بالوصول.

نزلا. ساعدها في حمل الحقيبة. شكرته. صافحها. ودّعته واستقلت سيارة إجرة. وصلت الفندق. صعدت إلى غرفتها... فتحت حقيبتها. طلبت شيئا تأكله، ثم تمددت في حوض الحمام، علّ سخونة الماء تسكّن آلام ظهرها.

" آه! يا لمتعة الاسترخاء في الفراش! "

تسللت يدها نحو مجموعته القصصية، متأملة عنوانها " غربة " صورة الغلاف، شارع طويل يمتد...يمتد ليتلاشى. في نهايته صبي يتطلع إلى الأفق اللازوردي.

هل كان متعمّدا إعطاءها مجموعته القصصية كي تكشف لها عن مكامن روحه؟

فتحتْ كتابه وراحت تغيب في عالمه، وشيئا فشيئا بات من السهل عليها التغلغل في أعماقه. كانت تراه في كل كلمة تقرأها وتسبر غور روحه. ترحل معه، تحب وتعاني. تتألم، وتبتهج.. وجدته رجلا يعشق جسد المرأة كما الحياة، وطفلا متشبثا بعباءة أمه البعيدة الثكلى لاهثا وراء حنانها الذي افتقده في امرأته.

تذكرتْ قول أبيها لها ذات يوم: " سيصبح كل واحد منكم تحت نجمة ". ها هي الصدفة تجمعهما تحت نجمة واحدة في فضاء مدينة غريبة.

رجفة جفنيها وارتخاء أصابعها كادا يسلبانها من عالمه، إلا أن رنّة الهاتف الحادة أيقظت حواسّها... رعشة صوتها خذلتها وأفشت سر نعاسها.

ـ أنا آسف جدًا ! يبدو أنني أيقظتكِ.

ـ لا.. أبدًا.. لم أنَمْ بعد. غرقتُ في عالم قصصك.

ـ ستجدين روحي مبثوثة في كل قصة كتبتها، وستفهمين عني الكثير.

ظلت صامتة لا تعرف من أين تبدأ الكلام مع هذا الرجل الهابط من الظلام كالومضة ليوقظ في روحها بصيص الذكرى والحنين. فها هي تصبح أسيرة لغته.. كانت تعلم أن المثقفين يفتقدون الصدق ويرتدون ألف قناع. تململت..

ـ أسمعُكَ...

ـ حدثيني... احكي لي عن نفسِك! أعرف أن الإنسان مكتظ بالأسرار، ولكن المشكلة، لمن نفضي بها؟.

ـ يحتاج الإنسان إلى صديق حميم يحيط الآخر بحنان ويسمعه بود وصدق.

وأنا لا أعرفك.

قالتها بصوت كاد يكون همسا.

ـ ستتعرفين علي من خلال كتاباتي، أعيش حياتي كأنني في رواية.

-......

أضمّكِ...

شمس هذه المدينة لا تشبه شمس بلادها، تظل الألوان كالحة، وزرقة السماء باهتة، لكنّ الفاختة في الشرفة تنشج أغنيتها الأبدية في كل زمان ومكان. أنصتتْ لها مبتسمة. حملت دفترها وغادرتْ إلى مكان العمل.

ما الذي حل بهذا الرجل؟ لماذا سكنه صوتها، لماذا لمس في كلامها دفء حضن أمه؟ لماذا أباحت له بصغائر أمورها، لماذا يريد أن يعرف عن الذي عشقها و كيف أفلتها مِن يده؟؟

ألف سؤال وسؤال يدور في خاطريهما كدوّامة تتحول إلى بؤرة ينبثق منها ردّها على رنة الهاتف:

ـ لأنه لم يستطع التسلل إلى عالمي الداخلي..

ـ تقصدين لم يستطع الإمساك بعالمك الدفين؟

ـ نعم... وزوجتُك ؟!

ـ هي تعتقد ذلك، أو تظن... لكني أعتقد أنّ لكل منّا عالمه الخاص.

ـ يسكنني طائر لم يستطع أي رجل كسر جناحه..

ـ لأنك لم تعثري على الرجل الذي يملأ سماءك بحيث لن تستطيعي التنفس دونه.

ـ......(صمتتْ)

أضمُّكِ...

كانت أمواج النهر تلامس جسدها برقة متناهية وهي مستسلمة لها بخشوع، لم تخَفْ هذه المرة من الغرق الذي نجت منه في طفولتها، بل استعذبت انسيابيته.

استهواها تماوجه وصار يلتف حولها مداعبا جسدها، فراحت تهبط..تهبط في دوامته حتى استكنّت في القاع..

أفاقت.... غشاوة الفرات أم غبش الفجر؟!

الماء البارد علاجها الوحيد.

الحافلة تنتظر في الخارج لتنقلها إلى القرية القريبة.

ليل المدينة شائك وموحش بدونها. أين ذهبت، أين صوتها؟ لماذا غادرت دون أن تُعلِمَه..ومن غرس فيها كل هذه القسوة؟ لقد ضيّعوا العمر عليها بلهاثهم وراءها، هل تعتقده سهلا وبسيطا؟ ولماذا يصبو إليها؟ له امرأة يحبها ينهل من جسدها بحب كلما شاء. ضاعت، رحلت، أم اختفت عمدا هاربة أمام لهفته؟

رمت جسدها المرهق من نهار عمل مضنٍ على الكرسي المحاذي للهاتف. انتشلها صوته في الفور.

ـ لِمَ تتجاهلينني؟!

اذهبي إذًا! لن تضحكي بدوني، ولن تنامي على نغمات كلماتي بعد اليوم!!

ـ يا مجنون ! هل نسيتَ أننا سافرنا إلى مكان أثري في القرية المجاورة؟

فرحَتُه الغامرة ودقات قلبه تُنبِضُ في كل كلمة يقولها..
ـ نسيتُ وسط زحمة أفكاري.. فقدتُ الكثيرين وصار غياب الآخرين المفاجئ يرعبني.
ـ أفهمكَ من القلب.
ـ أحب الحياة وأتعامل معها وكأنني سأموت غدا، فكل يوم جديد متعة مضافة.
ـ أرجوكَ لا! لا تتحدث عن الموت! اللحظة الصادقة التي نعيشها الآن هي نسغ الروح..
لِمَ يتحدثُ هذا الكائن ـ المرأة ـ عن الروح؟! هل ما تقوله له نابع من روحها، أهي امرأة تغرق في صدقها وليس هناك من يمّس أعماق روحها بعد؟!.. كيف عرفتْ أنه ضائع ووحيد، لقد وضعتْ يدها على الجرح لتلمس شَغاف قلبه. هاهي تتبنّى صدقه العاري المطلق معها.
أحسّت برعشة في قلبها.. لماذا صمَتَ وهو الذي هوى معها في هاوية اللغة التي افتقدتها في الغربة؟! ذاك الحوار الذي لم ينقطع في كل زمان وفي أي مكان تؤمه.. يصاحبها كظلها. صار منبعها تنهل منه عذب الماء كلما عطشت. يتلاشى العالم الغريب أمام عينيها. تنظر ولا ترى البشر المحيطين بها. يتحولون إلى كتل مبهمة ويظل صدى صوته يصدح في أذنها.
انتابهما ارتباك في خضم صمت بدده سؤالها:

ـ هل تسمعني؟
ـ معكِ..
ـ غدا..... سأرحل..
حلّت الكلمة عليه كاللعنة، لا خلاص منها.
ـ أضمّكِ... أضمّكِ إلي روحي!!!
لم يودّعها.
عليها أن تركّز. لملمت أشياءها وأجزاءها المبعثرة مستنجدة بالفراش.
رأته صبيا يجلس جوارها، يؤديان لعبتهما المفضلة. تتدلى أقدامهما الصغيرة في ساقية بستان النخيل. لكز قدمها النحيفة فطار النعال من عليها غارقا في الساقية. ارتعبتْ. قفز خائفا من غضبها، راحَ يركض.. يركض حتى ارتقى أول نخلة مكركرا.. تسبّه وتهدده، لم يعد يرى منها سوى عينين تقدحان غضبا. أراد أن يريها مهارته فتعلّق بسعفة للهبوط بها، وإذا بها تنشرخ منخلعة عن جسد النخلة ويسقط على الأرض. يا لغبطتها وشماتتها به. انفجرت ضاحكة... تضحك....تتتتتضضضححححك.
وتشد....تشد الطرف الثاني للسعفة.
كادت تمزق الكتاب بأصابعها التي أصابها الخدر من شدة التشبث بصفحاته.
استيقظت.

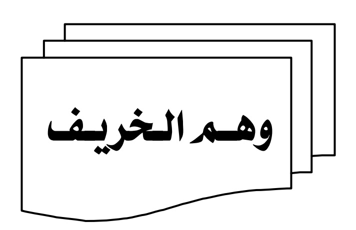
نهضت بعناء.

حزمت حقيبتها، متأملة بفخر الدراسة التي أعدّتها. حفظتها في حقيبة يدها. لم تبق إلا صلتَي الوصل بينهما، الهاتف وكتابه، وضعته في حجرها وظلت مصغية إلى الجهاز البارد. لِمَ ظل أخرس، أين صوته؟ سيعود إلى مدينته لا محال وتظل ذكراهما معتّقة في قلبيهما.

أزفت ساعة الرحيل. لا من يودعها أو يستقبلها في المدن الغريبة. لماذا أحست أنها وحيدة حال رحيله رغم وجود زوجها وابنتيها؟ لماذا... لماذا ؟؟.

١٢-٤-٢٠٠٥

• • • • •



وهم الخريف

في نهار خريفي دافئ، جلس في ركنه المفضل ليحتسي قهوته بعد عمل نهار أمضاه بين نزلاء المصح الذي احتل تجويفًا في خاصرة الجبل ليظهر كنحت بارز في الصخر. قبل أن يهم بالخروج، ُفتح باب المصح، فتسمرت عيناه عليها. ممشوقة القامة، شعر أشقر ينساب حتى الخصر، تضع يدها بحنو على كتف فتى نحيل، كاد لون شعرها ينصهر في شعاع الشمس خلفها، راسمًا هالة من النور حولها.

ارتدى معطفه الأسود، وقبل أن يغادر المكان بخطوات ثقيلة، لمح ابتسامتها وهي تكلم موظف المصح. توقف، استدار صوبها ثانية، نظر إلى ساعته فأسرع الخطى. يوم الجمعة مخصص للتسوق مع ابنه البكر قبل عودة زوجته من المدينة إلى القرية حيث يعيش منذ خمسة وعشرين عامًا.

انتهت مهمة التسوق، أصبحت مملة، وبالذات في ذلك اليوم، بعد أن لفت ابنه انتباهه حينما وصلا إلى البيت إلى أنهما نسيا أشياء كثيرة ستسبب لهما مشاكل مع أمه، لكن الابن العارف بأبيه شعر

بأن والده ليس معه، فتركه حاضرًا ـ غائبًا في شروده. دخل الأب غرفة مكتبه و ظل يحدق إلى الفراغ. احتواه شعور غريب. سكنه صمت لم يكسره صوت الزوجة ولا الأولاد إلا بعد أن دخلت ابنته الصغرى تدعوه لتناول العشاء، وكمن أفاق من سكرته، قفز من كرسيه ليحتضنها، كان يسميها: هدية الله. وُلدت في سن أعادت إليه شبابه... قبل شهر طرق باب الخمسين.

شد على يدها الصغيرة وتذكر الخلاف الحاد بينه وبين زوجته يوم أرادت التخلص من الجنين رافضة الإنجاب في سن الأربعين.

قبّل زوجته وابنته الوسطى التي صمتت هي الأخرى منذ شهور بعد أن أباحت له بسرّها دون أن ترتمي في حضن أمها القروية المتعنّتة. تحب بصمت تعبّرُ عنه في لوحاتها وتضطرب حينما يعلّق أبوها على رسمها ويلمّح لها بغمزة. كانا يشكلان معا كتلة من الأحاسيس المرهفة. ورثت عنه الموهبة، وكان يرى فيها ذاته، لقد عوضته عن رغبته القديمة العارمة يوم دخلت معهد الفنون الجميلة إذ حُرِمَ منه تلبية لرغبة أبيه ليصبح طبيبا، ولم يبق من حب الفتى سوى لوحة زيتية صغيرة للحبيبة التي ضاعت مع الموهبة. أراد أن يبرهن لابنته بأنه يفهمها من القلب عندما لجأت إليه، فأخرج اللوحة من درج مكتبه دون أن ينبس بكلمة.

لم يسأل، ليتجنب تذمر زوجته المتواصل من العمل والشكوى من الأولاد. أراد أن يحترم ويقدر الآخرون صمته ولو خلال فترة

العشاء. لكن زوجته قد خَبرَتْه لأكثر من خمسة وعشرين عاما أرادت أن تسلبه من عالمه فباغتته بالسؤال:

ـ هل كان نهارك متعِبًا ؟

ـ بعض الشيء ، يبدو أن ارتفاع حرارة الجو أثّر على بعض المرضى المسنين.

كان لا يتحدث أمامها سوى عن المسنين والرجال خوفا من غيرتها التي لم تستطع الشفاء منها. كيف لا ؟ وقد رأته ذات مرة يضع يده على كتف صبية في دَور النقاهة. لم تفهم أو تدرك أن ذلك السلوك هو جزء من مهمته كطبيب. إن رد فعلها الحاد المتواصل وقسوتها جعلاه يتعلق بالفعل بأكثر من صبية. ويظل يعيش معها جسدا، وروحا مع الصبايا اللاتي تعلقن به بعد أن كان يغذي العشق فيهن. اضطرب. وجد نفسه هشًا أمام نظراتها. أنهى وجبته بسرعة ونهض شاكرًا لها على العشاء متجها إلى مكتبه ليرد على الهاتف.

خرج مسرعًا من غرفة مكتبه، وبينما يرتدي معطفه قال:

ـ عليّ أن أذهب إلى المصح حالاً، هناك حالة مستعجلة.

وقبل أن تسأل الزوجة أكمل قوله:

ـ ذهب الطبيب المناوب اليوم في إجازة وعليّ أن أحل محله.

خرج وتركها فاغرة فاها، لأنه في نهاية الأسبوع مُلكها، ولن تتهاون بالتنازل عنه.

ذهب مشيًا. كان بحاجة إلى الهواء البارد. لم يعرف سر اضطرابه. دخل المصح وأشير إليه بالذهاب إلى الطابق الأول. رآها تقف في الرواق قلقة شاحبة. ارتعشت الحروف بين شفتيها وهي ترد التحية مشيرة إليه بالدخول إلى غرفة ابنها. عاينه وشخّص نوبة المغص الكلوي. وقبل أن يخرج قدم إليها قلمه طالبا منها التوقيع على استمارة ملأها. انحنت وكاد جسدها يلامسه، فاستنشق رائحتها. وضع القلم في جيبه. مدت يدها مصافحة إياه، فشعر بارتعاشها. طمأنها ووعدها بأنه سيكون إلى جانب ابنها في أي لحظة تطلبه.

عاد إلى غرفته ليستفسر عن المرضى. لم تدعُ الضرورة القيام بعمل إضافي. فتح النافذة وراح يعب من هواء الجبل ويتأمل ظلمة الغابة المخيفة. ساعتان وهو على تلك الحالة. سكنه حزن شفيف غفلة، فأخرج قلمه من جيبه ليدون ما يختلج في روحه. تجمدت نظرته على الشعرة الشقراء التي علقت بالقلم. استلّها منه ووضعها على معطفه الأسود- خيط من الذهب - لفها على إبهامه.

لم يستطع فعل شيء. اضطجع على السرير يحدق إلى السقف و الجدران. سرعان ما نهض خارجًا لعل جلوسه في ركنه المفضل أو تبادل الحديث مع أحد الموظفين سيخفف من وطأة الحالة التي سكنته. كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل. مر بركن واجِهتُه زجاجية يجلس فيه عادة بعض النزلاء الذين يفضلون العزلة والتمتع بمنظر الجبل.

كانت تقف وحيدة. أضاف انكسار الضوء الخافت على شعرها وردائها المخملي الأرجواني الطويل الملتصق بثنايا جسدها أنوثة ناعمة. تَردد بالتوقف عندها. تراجع بخطواته المرتبكة ثم قرر أن يكلمها متذرعا بالسؤال عن ابنها.

ـ لقد خفّ الألم... وهو الآن نائم... سبّب لي القلق أرقًا فقلت لأخرج وأمتّع نظري بالجبل بالرغم من حلكة الظلام.

وجد منفذًا للكلام، ليدخل معها في حوار.. كان بارعًا في ذلك كعادته.

ـ تحبين الجبل والظلام؟

هزت كتفيها مبتسمة لسؤاله.

ـ حب الجبل بالنسبة لي لا يدوم كثيرًا... أحنُّ بسرعة إلى السهول التي وُلدتُ فيها وحقول الورد. لا أحد يحب الظلمة، ولكني أجد في اقتحامها انتصارًا لذاتي.

لا يريد أن يُشعرَها بأنه لم يفهم قصدها فاستغل عبارتها وصار يحدثها كطبيب نفساني، وها هي توفر له الفرصة لاقتحام عالمها الداخلي.

ـ هل عانيتِ يومًا ما من عقدة خوفٍ من الظلام؟

استدارت وكأن السؤال استفزها وأيقظ فيها ذكرى حادثة قديمة مُكربة. نظرت في عينيه، فرأى العسل يترقرق من عينيها. ارتجف قلبه.. أشار إليها أن تجلس..

كانت ليلة مقمرة، يتحول فيها الأخضر إلى الفضي، وجذوع الأشجار كالأشباح حينما تمر سحابة لتحجب ضوء البدر الشاحب فتبدو الغابة في حركة الظلال وكأنها تسير نحو القمر.
لم ترفع بصرها ولو للحظة، وهي تجلس عن الغابة وحركة تماوج الأغصان. عادت بها ذاكرتها إلى تلك الليلة المقمرة فأردفت قائلة:
ـ وُلد أخي الأصغر في سنوات الحرب العالمية الثانية، لم أرَ وجهه إلا في النهار، كنت في السادسة من عمري، أحمله وأركض به ساعة الغارات، لتتمكن أمي من حمل أخي الأوسط الذي كاد يموت خوفًا من الظلام. كبر ولم يقوَ على تعود الظلمة. كنت آخذ بيده وألج حديقة دارنا في الليل كي أقتل خوفه فأحكي له عن الكواكب كيف تسكن السماء ولا تخشى غياب أبيها القمر عندما يرحل ويتركها وحيدة في ظلام قبة السماء... تعودتُ الظلمةن وتعلم هو الحكاية.
صمتتْ.. اعتادت الإنصات للآخرين عادة بحكم عملها كباحثة اجتماعية، فتداركت وضعها مرتبكة لتسأله بذكاء عن عمله في القرية متحاشية الدخول في تفاصيل حياته الخاصة. لكنه لم يأبه بسؤالها لأنه بذلك سيسد الباب أمامها ولن يستطيع معرفة الكثير عنها.
ـ أنا ابن السهوب أيضًا.. في آخر سنة في الجامعة جئت للتدريب في هذا المصح وتعرفت على فتاة هامت بي... أكملتُ دراستي

وعدت إليها، ومنذ ذلك الزمن وأنا معها... لم تتخل عن جبلها الذي أحببتُه بوديانه وغاباته، شهد الجبل حبنا يوم افترشتْ أوراق خريفه لأكون رجلها الأول.

كان ينتظر رد فعلها. أدهشه هدوؤها، انسجامها مع ذاتها التي يرشح منها صفاؤها.

ـ لقد استمعتُ في حياتي إلى مئات القصص وشهدتُ على أنماط سلوك غريبة من بني البشر... كان بودي أن أقتل ذات يوم الرجل حين ترك نطفته في رحم الفتاة المعوقة عقليا دون وعي منها. يعتقد الرجال بفعلهم هذا أنهم يفتحون قلاعا وكأنهم قاموا بعمل جبار. ألفتُ كل شئ إلا تهافت الرجال المنفر.

اضطرب. تمرمر. إنه يتشبث بكل كلمة تقولها كي يحيطها بإعجابه، بانجذابه المفاجئ إليها الذي يجهل كنهه. كاد يموت في فضوله الموجع، فهي أمامه بلحمها ودمها، برائحة جسدها ورعشة يدها. بدا له من المستحيل اقتحام عالمها، فقد وضعت جدارا لا مرئيا يفصله عنها، لكنه أصر على اختراقه.

ـ ألا تعتقدين أن السر يكمن في جاذبيتك؟

ـ حتى وأنا في الثانية عشرة من عمري؟

كان أبي ضابطًا وكنا نسكن قرب ثكنة عسكرية. أرسلتني أمي لشراء الخبز وقت الغروب وعند عودتي رحت أرقب هبوط الظلام حتى نسيت نفسي. كان يمر من شارعنا العديد من الجنود

الأجانب، وإذا بأحدهم يستوقفني ليسأل عن الثكنة، صدقتُه وسرت معه باتجاه بيتنا.. كنا نمر عبر حديقة تزخر بالأشجار فاستغلها وراح يشدني إليه... مازلت أشعر بخشونة لحيته على خدي. جفلتُ و شعرت بالخطر فكذبت مدعية بأن أمي واقفة هناك تلوح لي... وعندما هرب أدركت أنني كبرت ونما في إحساس الأنثى المهدد بالخطر.. ركضت... ركضت وما زلت أحب الركض في الحقول.

هذه المرأة ـ القدر ـ أعادته إلى طفولته عندما كان يعدو في المروج مع ابنة الجار الشقراء لتختبئ بين الحين والآخر بين أوراق عباد الشمس تارة وتضيع بين السنابل الشقراء أخرى. لم يستطع الإمساك بها. كانت كالمستحيل..

لم يتخيل ذات يوم أنه سيعيش في سجن أسواره الجبل.

هجر السهوب والمروج والركض الجامح وحريته.

أحس بالاختناق ، بحسرة مريرة وهي تقول له:

ـ إن داهمك الخطر في الحقول التي تنعم بحماية السماء فقط، ستسقط و تُدفن مرة واحدة، أفضل لك من أن تهوي في قعر الوادي لِتُدفنَ في حفرة أخرى.

مثل زلزال مباغت هزّته هزا مفرط الرقة. تجلس أمامه وديعة، مرهفة، متماسكة، ينفث جسدها عطرا بريا أسعده، شنته ولمه، نثره في روحه معيدا إليها جروح محبة كل أنثى مرت بحياته. لقد أزالت الغبار عن سعادته الموهومة، عن فرحه الكاذب، عن

وحدته ووحشته. يتحاوران طوال الليل عن طفولتهما وشبابهما، وكان يمهد لها الطريق فيتحدث عن الحاضر، لكنها تفلت من بين يديه كالزئبق لتحيده عن حاضرها المبهم.
تعبت. أسندت رأسها على كفيها و انسدل شعرها فغدت كتلة من الذهب. توهجت وجنتاها، وفجأة انتفضت راكضة نحو غرفة ابنها، ملوحة له، تاركة إياه وحيدا في جنون يعصف به ويأخذه إلى مناحٍ وأمكنة بعيدة.
عليه أن يتماسك ليبدأ نهاره.
أفاق من ذهوله. نهض بإعياء. خالجه شعور غريب لذيذ كنسيج من البهجة والألم. أكان في حلم أم يقظة؟ لقد حولت نهاره إلى فرح لم يسعه المصح ولا البيت الذي يسكنه منذ سنين طويلة، فالشارع غير الشارع والبشر غير البشر، والجبل.
صار النهار ثقيلا، واليوم موحشا وكأنه يخوض في فراغ. فَتَر جسده فاستنجد بالسرير. لم يقو هذه الليلة على تأدية طقوسه، يتحاشى سعير الجسد الملتصق به. أفَلَ إحساسه به، فادّعى النوم ورائحة الجسد الآخر التي استنشقها غفلة تموج في كيانه. يفكر ويحاول هذه المرة إنكار هذا النبض بأنه نزوة خريف.
لوهلة أحس بدافع يدعوه للعودة إليها، فراح يرقب أنفاس امرأته وهي تغط في نوم عميق. انسلّ من تحت لحافها كثعبان الصحراء. هبط ماشيا على أطراف أصابع قدميه، حابسا أنفاسه وهو ينزل

السلم الخشبي. دخل غرفة مكتبه وقد جاوز الليل منتصفه. كان يرتعش كطفل ارتكب ذنبا عظيما وهو يغير ملابسه. مد يده لتناول معطفه، وإذا به يفاجأ بابنته الكبرى و هي تحدجه بنظرة استفهام، ربّت كتفها:

ـ شعرتُ بحاجة لاستنشاق الهواء.

يركض ويمشي، و صورتها أمامه جالسة في ركنها.

لم يجدها.

لقد فجرتْ فيه الماضي، وغيّبتْ الحاضر وفتحتْ بابا لمستقبل لم يألفه بعد. عاد مسرعا إلى بيته. فتح باب مرسم ابنته. رمى معطفه جانبا والتقط صفحة بيضاء. ثبّتها.. رفع الفرشاة بحذر. تفجّر و راح يصب بعنفوان الألوان على الصفحة، ساحرًا إياها بضربات فرشاته إلى ما يشبه حقلاً تشع أزهاره وأعشابه بألف لون ولون، وخيال طفلة تركض هناك تحت السماء الصافية أبدًا.

أنهكه التعب، فنام في الصالة كالميت حتى أفاق على يد ابنته المرتجفة وهي تحطها على جبينه لتقول له:

ـ ما بك يا أ بي ؟ أنك تصرخ.

لقد تبعثر فيه كل شئ وعليه الآن أن يتماسك أمامهم. قرأ العتاب والاستياء في عيني زوجته والذهول على وجوه أولاده. نهض خارجا إلى الشرفة المطلة على الغابة. كاد الضباب يحجب الرؤية، لكنه رآها هناك بين الأشجار، وقد ذابت في ألوان الخريف وهي

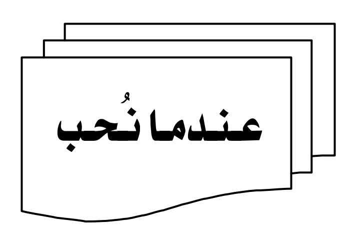
ترتدي البني المحمر. تركض في الضباب فبدت كقطعة حرير تتماوج في السديم. اختفت فجأة.

دخل الصالة. أنعشته رائحة القهوة فشرب منها أكثر مما يجب، وراح يتساءل : أيمكن أن يكون هذا كله حلما؟؟ وما سر هذه المشاعر التي تجيش في روحه، واللوعة والحنين؟؟ إنها ليست نزوة. استغرق في تفكيره.. انتبه إلى غياب الآخرين، فاستغل الوضع وفرّ إلى الغابة. سار دون ما هدف حتى وجد نفسه عند الباب الخلفي للمصح. دخله. اضطرب للوهلة الأولى، لكن قدميه حملتاه إلى ركنه المفضل، فرآها عند الباب الأمامي تميل بجذعها على رجُل طوّق خصرها. عرف سر ركضها.. تجمد كالحجر... خرجوا جميعا وشيئا فشيئا غابت في الضباب.

عاد إلى بيته مغمورا برذاذ الخريف مضيفا وهما جديدا إلى أوهامه في سجنه الأبدي.

بودابست
تشرين أول، أكتوبر ٢٠٠٥

• • • • •



ـ ١ ـ

فتحت عينيها ثم أغمضتهما، لأن خيوط الشمس قد تصالبت في فضاء غرفة نومها. تمطت كقطة ناعمة قبل أن تنهض من سريرها شاعرة بجوع مباغت، حتى أنها لم ترتد روب نومها وهي مسرعة نحو المطبخ لتحضير الفطور.

سمعها تدندن لحنًا، فترك الشرفة نحو المطبخ مصطحبًا جريدته، متخليًا عن قراءتها وهو يتطلع إلى منحنيات جسدها الرشيق عبر قميص نومها الشفاف.

ندت عنها زفرة حارة حينما اقترب منها مطوقًا خصرها برقة، وضاغطًا على رمانة كتفها باليد الثانية. ارتجفت عندما التصق بها شاعرة برعشة مباغتة تسري في جسدها المتعرّق. لم تبعده، وتظاهرت بانشغالها بتحريك محتويات الأكلة على النار. تأججت رغبته، فراح يهمس في أذنها. توردت وجنتاها. اعتادت على هجماته الفحولية في كل زمان ومكان. تعالت ضحكتها عندما

فكرت: ما الذي جذبه إليها، رائحة الأنثى أم رائحة الطبخة؟ متذكرة المقولة الشهيرة "طريق الوصول إلى قلب المرأة أذنها.. والطريق إلى قلب الرجل معدته"

فتساءلت مع نفسها:

" ماذا لو فقدت نساء العالم حاسة السمع وفقد الرجال شهيتهم للأكل؟ "

"هل سيقف الرجال أمام المرايا مرددين كلامهم المعسول، وتأكل النساء ما طبخن؟ "

ـ ٢ ـ

أسرعت الزوجة مصطحبة طفليها إلى المدرسة، ثم عرّجت بعد ذلك على السوق لشراء ما تتطلبه منها وجبة الطعام الخاصة باحتفال عيد زواجهما العاشر.

لقد أرهقها تحضير الأكلة المفضلة لزوجها والحلويات التي يلتهمها طفليها بنهم غير مباليين بالوجبة الرئيسية. أعدت المائدة، حتى أنها لم تنس الأزهار والشموع. نظرت إلى الوقت. لم تبق إلا ساعة واحدة على عودتهم إلى البيت. تطلعت في المرآة فأغمضت عينيها كيلا ترى وجهها المتعب. فكرت باختيار ثوب يضفي عليها حيوية تخفي تعبها. بحثت بين أثوابها فوجدت تنورة زرقاء ذكرتها

بالسنين الأولى بعد زواجها، لكنها خشيت من أن مقاسها قد تغير خلال العشر سنوات ولم تعد نافعة الآن لها. ارتدتها، ولكم أسعدها ما رأته في مرآتها وهي تتحسس جسدها. سرّحت شعرها، واضعة قليلاً من المساحيق، وبأصابع قلقة بحثت عن قلادة تناسب بلوزتها الحريرية بلون اللازورد.

لتجلس إذن! لابد من الاسترخاء قبل وصولهم. أغمضت عينيها ومر أمامها شريط صور لحفلة عرسها المرهقة وإغفاءتها بعد خروج المدعوين، وبينا هي تسْرَح في عالم الذكريات وصل زوجها، فجفلت ناهضة، مستقبلة إياه بلهفة وابتسامة عريضة.

كان الزوج متعبا إلى درجة لم ينتبه إلى المائدة المفروشة، ثم لمحها بنظرة خاطفة، ولم يقل غير جملة واحدة بعد التحية وطبع قبلة خفيفة على خدها:

" أكاد أموت جوعا، هل طبختِ شيئا؟ "

ردت مرتبكة ومندهشة بعض الشيء:

" طبعا... طبعا."

" إذن أحضريه وغيري هذه التنورة القبيحة "

فتحت الزوجة فاها مصعوقة:

" قبيحة؟ أنت اشتريتها لي في عيد زواجنا الثالث وكنتَ معجبا بها جدا "

لم ينظر إليها وراح يدمدم:

" أنا.. أنا اشتريتها ومعجب بها" ثم رفع صوته ليقول:
" حسنا.. غير مهم.. نادي على الأطفال في الحديقة... لنأكل! "

- ٣ -

بينا كانت تلبس عقدها، تأمل عنقها الطويلة، وتراءت أمام عينيه تلك الكدمة الزرقاء التي خلفتها ليالي السنين الأولى لزواجهما وكيف كانت تضطرب مبتهجة في صباح اليوم التالي حين تلامسها بأناملها وتغطيها بوشاح حريري قبل أن تذهب إلى العمل. هبّ لمساعدتها، فشعر بحرارة رقبتها وهو يلبسها العقد. لم يقاوم رغبته في تقبيلها وقرص فخذها، فانتفضت غاضبة بعض الشيء وبلهجة معاتبة قالت:
" أرجوك لا.. هل نسيت أنني سآخذ الأولاد غدا للمسبح؟ "

- ٤ -

فتحت الزوجة الظرف لتُخرجَ منه بطاقة دعوة زفاف إحدى قريباتها، لكن الزوج اعتذر متذرعًا بكتابة بحثٍ علمي مستعجل وغاية في الأهمية. كانت زوجته تعرف طباعه حق المعرفة، لذا لم تكرر سؤالها وفضلت الذهاب بمفردها.

رقصتْ وغنّتْ مع الجميع، لكنها كانت تطلق تنهيدة بين الحين والآخر لافتقاده عندما ترى الأزواج والزوجات يداعبون بعضهم البعض بالأيادي والكلمات. مر كل شيء على أجمل ما يرام. ودّعتهم بعد أن حمّلوها بعض الحلويات لزوجها.

عادت منتشية بسكرة الفرح والأغاني التي أعادت بها إلى حفلة زفافها. أدارت المفتاح في قفل الباب. لم يسمعها وبقي مضطجعًا على سريره يستمع إلى موسيقى كلاسيكية هادئة. أوقفت الشريط ووضعت بدلا عنه شريطا مسجلاً لأغاني قديمة، فقفز زوجها مستاءً من فعلتها ليقول غاضبا:

" لماذا أبدلت الشريط بهذه الأغاني التافهة؟"

اندهشت الزوجة واتسعت حدقة عينيها متسائلة:

" تافهة؟! هل نسيت أنها كانت أغانيك المفضلة التي رقصنا على أنغامها في حفلة زواجنا، وبقيتَ ترددها لسنوات؟ "

- ٥ -

لقد وعدت الأم ولدها وابنتها بأن ترافقهما مع أبيهما لقضاء نهار نهاية الأسبوع خارج البيت، لكن الأب نقض عهده وبلهجة رقيقة اعتذر منهم جميعًا بحجة إكمال روايته التي يجب عليه تسليمها للناشر بأقصى سرعة. رافقهم حتى باب البيت طابعًا على خديهما

قبلاته ولامحًا العتاب في عينيهما. أغلق الباب وقبل أن يدخل الدار تمشى في الحديقة ونظرة العتاب ولا مبالاة زوجته كانتا قد استولتا على مشاعره وأفكاره. سعى جاهدًا لإبعادهما. ارتشف قهوته، وبدأ يلملم خيوط روايته لينسج آخر فصولها. لقد خذله نوله، وراحت أفكاره تنط بين خيط وآخر جارفة إياه في فوضى عارمة حتى استقرت في دوران مكوك دماغه وظلت تدور.... وتدور دون هوادة.

" كان بإمكاني مرافقتهم، وتأجيل الكتابة، وهل الرواية أهم من لحظة فرحهم الآنية التي لن تتكرر أو تؤجل؟ وهي؟ صدت بوجهها عني، و بالرغم من جهدها في العمل الوظيفي وإدارة أعمال البيت والسهر إلى جانبهم وتحمل نزواتي، لماذا لم تعتذر عن الذهاب؟؟؟"

بدأ سوس الندم يقرض تلافيف دماغه معيدًا به إلى لحظات مبهجة وسخية. إذن ليقم بشيء يثير بهجتها كالسابق يوم كانت تفرح من قلبها عندما يفاجئها بمائدته المفروشة بأشهى المأكولات.

فرك يدًا بيد مضطربا وهو يدخل المطبخ باحثا عن نوع من الخضرة المجففة التي كان بارعًا في طبخها وفخورًا بتعلم سر إعدادها من والدته. لم يجدها. عصر دماغه، ما الذي سيفعله الآن؟ أمامه وقت طويل، سيعودون في المساء.

ارتدى معطفه خارجا للتسوق بعد أن اكتشف أن طبخته بحاجة إلى مواد لم تتوفر في البيت.
قبل أن يحل المساء كانت رائحة الطعام تفوح في أرجاء البيت. جهز المائدة بشكل لم تستطع أي امرأة أن تفرشها بتلك الأناقة كما كان يردد دائمًا. تصدّر المائدة ونظراته متسمرة على الباب. قاربت الساعة السادسة. وقف عند النافذة يرقب الباب الخارجي. وأخيرا وصلوا، لم يعرف سر ارتباكه وفرحه المزدوجين وكأنه فارقهم منذ دهر.
استقبلهم بلهفة. كانوا متعبين إلى درجة لم يبالوا بغبطة الأب فرمى الولد بجسده على أقرب أريكة واتجهت الزوجة نحو السلم، وقبل أن تصعد ناداها:
ـ لقد حضّرتُ العشاء، ألستِ جائعة؟
ودون أن تلتفت ردت عليه ببرود:
ـ لا، أنا متعبة الآن.
وعند منتصف السلم استدارت لتنادي على ابنها، فرأت المائدة المفروشة مضيفة:
ـ لقد أكلنا وجبة خفيفة قبل عودتنا... ثم قالت باستياء: لماذا استعملت طقم الصحون الغالي؟ لقد احتفظت به للضيوف.

لم يعرف كيف يتصرف أمام أولاده. التزم الصمت جالسًا بمفرده يحدق في أطباق الطعام الجميلة. تطلعت ابنته إليه بأسى، ثم اقتربت منه لتؤاسيه بقولها:

ـ أنا جائعة، سآكل معك. أنت تعلم أنني لا أحب وجبات الأكل السريعة!

ابتسم لها، وصب كأسًا من النبيذ الأحمر دالقًا به في جوفه بحزن كثيف.

ـ ٦ ـ

على غير موعد التقى بصديقه القديم، وفي خضم ضجيج الشارع وحركة المارة راح يروي له آخر تطورات أحداث حياته الزوجية بفرح عارم. لقد انفصل عن زوجته الأولى التي لم تزين بيتهما وحياتهما بذريته. وها هو الآن يعيش مع زوجته الثانية والتي تصغره بما يقارب العشرين عامًا وابنه الجميل الذي بدأ يركض مالئًا البيت بنشوة الفرح.

لقد طلب من صديقه أن يتصل به ليحدد الوقت المناسب كي يدعوه للتعرف على زوجته الفنانة الرقيقة عازفة الكمان، راسمًا لها صورة وكأنها إحدى إلهات بابل وسومر، واصفًا أناملها الطويلة

الرقيقة وهي تداعب أوتار الكمان حينما يعود متعبًا من العمل لينتشي من سحر موسيقاها العذبة.

لم يتصل الصديق، وبين الحين والآخر يلقاه مصادفة مع أصدقائهم المشتَرَكين، ويشعر بسعادته وهو يتحدث عن ابنه الذكي ومكره وكيف صار يعي الأشياء ويقلد أمه بالعزف على الكمان.

أصبح الولد صبيًا عندما التقى الصديقان بلا موعد بعد غياب سنوات. لكن الأب صمَتَ هذه المرة ولم يتحدث عن ابنه وزوجته الرقيقة، مما دعا صاحبه إلى افتعال مادة للحوار فبادره بالقول:

ـ لحسن حظك طّلقتَ...

وقبل أن يكمل كلامه قاطعه صديقه:

ـ تقصد.. طلّقتُ... من؟

ـ زوجتك الأولى طبعًا.

لكني طلقت الثانية أيضًا...

قالها ضاحكًا.

اندهش الصديق وقبل أن يتفوه بالسؤال أكمل صديقه:

ـ يا أخي! قتلتني.. ليل نهار تعزف.. تيييين.. تييييييييين.. تيييين..تيييين. دخت ومليت. الله لكم سعيد الآن بوحدتي. أفعل ما أريد وأسمع ما يحلو لي. وأستمتع بالسكون متى ما أردت أنا.

لم يعلق صديقه مستأذنًا مغادرته.

بعد فترة وجيزة وبينما كان الصديق يكلم صديقهما المشترك على الهاتف، ذكر له قصة صاحبهما زوج الفنانة الشابة، فقاطعه الآخر على الفور:

ـ نعم.. نعم أعرف، لقد تركته زوجته.

بودابست ٢٠٠٧

٧

لم يكن زامل لفته فتى يافعا عندما وصل إحدى العواصم الأوربية هاربا أمام الموت المحاصِر له ولرفاقه في وطنه، مخلفًا وراءه مشروع خطيبة في انتظاره وأم منتحبة لفراقه.

ـ شلون راح تعيش وحيد بالغربة ياوليدي؟ ما أدري شلون تدبر أمورك وآني وخواتك بعيدين عنك! حتى ما نعرف بالضبط وين ندور عليك.

ردد كلام أمه أمام ابن خالته الذي بحث عنه كثيرا حتى التقاه بعد عام ونصف، حابساّ دموعه بحركات مسرحية ألفها عنه أصدقاؤه ومعارفه فسأله بلهفة عن أهله و حبيبته.

بعد أسبوع على لقائهما، وبينا هما يحتسيان البيرة في إحدى المقاهي حيث كان يحاول جاهداّ التقرب إلى نادلة المقهى، لاحظ

ابن خالته أنه لم يكن مثقلاً بأعباء الحياة كما كان يظن أهله. لم يتعلم لغة البلد بعد، وراح يرقب حركاته الهزلية وهو يعبّر عن إعجابه بالنادلة محاولاً التقرب إليها من جديد، طالباً ودها ودعوتها للعشاء. كان يوحي لقريبه بأنها ترغب فيه، لكن محاولته ذهبت سدى لأنه سبق وأن انقضَّ عليها ذات ليلة فقَدَ فيها عقله وتوازنه محاولاً تقبيلها فصفعته أمام العاملات صارخة بوجهه:

ـ أخرج من هنا يا حيوان!

حاول أن يقيم توازناً لنفسه، كابحاً غرائزه وهو يرشف آخر قطرة من البيرة ونظراته شاخصة على نهديها وهي تنحني لرفع القناني الفارغة. هز كتفيه ساخراً منها وناظراً إلى ابن خالته ليقول لها بالعربية:

ـ يعني أنتِ متصورة أنك تختلفين عن الأخريات؟

نقر على المائدة بأطراف أصابعه ليكمل قوله:

ـ والله لو تشوف هذي المرأة اللي تعرفت عليها قبل أسبوعين... طول ورششاقة وجمال.. ولك مدري شنو جذبني إلها... يمكن شعرها الأسود... عبالك من عدنه.. المسكينة مطلقة وعندها طفل عمره يمكن ٣ سنوات، ينحط بالگلب والله يمكن هذا اللي جذبني إلها أكثر.. بس لا تتصور إنها وحدة عادية... لا مو عبالك... مستوى راقي وثقافة.. آنه أخوك، تعرف إحنه المثقفين الواعين ما نروح على أي وحده.. لك آآآخ.. آني دخلت بالأربعين... لا

زوجة.. لا ولد ولا تلد. المهم غدًا... غدًا الموعد معها، وما أخفي عليك حسيت آني أحبهة... ما تفارق خيالي ولا لحظة.

أخذ نفسا عميقًا وزفر بشكل متقطع فصارت شفتاه ترتجف كبراطم القرد ثم أردف قائلاً:

- ياالله ابن خالتي إشرب والعن أبو الحكومة، گواويد خلوا طشارنا ماله والي.

- شكرًا أعتقد كافي، ولازم نرجع للبيت لأن بكرة صباحا موعدك مع الحبيبة. " قالها بسخرية ثم أكمل" لو نسيت ابن خالتي السبع؟

- لا لا لا شلون أنسى!

بدا نهار الأحد طويلاً على ابن خالته محمد حتى ملّ من التسكع في الشوارع وحيداً فعاد إلى الشقة مبكرًا ومقررًا اللجوء إلى فراشه بعد تناول وجبة عشاء خفيفة والبحث عن كتاب يقرأه. لقد شغله وضع زامل المثقف الثوري المكتنز بالمشاريع الثقافية المؤجَلة حتى غاب في النوم.

قاربَ الليل منتصفه وإذا برنة الهاتف توقظ محمدًا. نهض مرتعبًا وقبل أن يرد جاءه الصوت مترددا كالصدى:

- محححممد.. ولك تعاال بسرعة وجيييب وياك فلوس... البوليس راح يا خذني.

- منو منو زامل؟ وين انتَ بأي مكان؟

- بسرعة... بسرعة البوليس.. آني بمطعم القلعة اللي كنا بي قبل يومين.. يالله تعاااال.

كان الجو باردا بعض الشيء ومن شدة ارتباكه ارتدى محمد بنطلونه على البجامة مكملاً لباسه في المصعد الكهربائي مرددًا:

- ما معقول، ولك لا تفضحنا زامل.. زين شيسوي بالمطعم بهذا الوقت؟ بعدين المرأة عندها طفل.. مشكلة.. والله مشكلة.

وصل محمد إلى المكان فوجد قريبه زامل يقف مع امرأة طويلة القامة تحمل طفلاً متشبثًا بعنقها يرتجف هلعًا. أحاط بهم عاملوا المطعم مع المدير المتأهب للاتصال بالشرطة. كان زامل ثملاً تتمايل قامته دون إرادة منه، تناول الفاتورة من يد المدير ليقدمها إلى محمد الذي صُعق لارتفاع المبلغ، ومع ذلك أخرج النقود ليدسها في يد المدير مع ابتسامة اعتذار خجلى تجنبًا للفضيحة.

اندهش محمد لوجود جارتهم العراقية إقبال تقف مذهولة، ماسكة بمحفظة نقودها وكأنها جاءت لتدفع حساب زميلها المثقف. كان زامل يطلق عليها صفة زميلتي أمام نساء البلد اللائي يخطط لهن، وصديقتي عندما يقدمها لمعارفه من الرجال، لذا جاءت لتنقذ زميلها أمام صديقته بعد أن اتصل بها تلفونيًا هي الأخرى، لكنه نسي ذلك ولم يعر أهمية لوجودها حينما فتح باب التاكسي للسيدة وابنها، إلا أن محمد اعتذر منها حتى أنه لم يستطع النظر في عينيها فأوقف سيارة أجرة أخرى ولحقا بزامل وامرأته.

وصلوا حيث تسكن السيدة. نزلت مع ولدها وراحت تركض فارّة من قبضة زامل إلى الجهة المقابلة دون أن تكترث للمرور ووصول الترام الذي كاد يدهسهما، وبهذا لم يستطع اللحاق بها زامل لفتة إذ كان يترنح على سكة الترام وكانت فاتنته قد دخلت البناية، صافقة الباب خلفها.

سحبه محمد ابن خالته متوسلاً إليه بأن يدعها وشأنها آخذًا ينظر الاعتبار حرمة وجود طفلها. اعتلوا الترام. وقفت إقبال على مقربة منهما وكأنها لا تمت بصلة لهما متفرجة صامتة ومنصتة بشكل غير مباشر لكلام زامل السكران، فاستشفت منه أن المرأة الواعية المثقفة اصطحبته إلى جميع الأماكن التي كانت تحلم برؤيتها في القرى المحاذية للعاصمة لتأكل وتشرب ما لذ وطاب على حساب العربي الثري، حتى وصلت إلى أغلى مطعم في العاصمة بعد أن خوَت جيوب الأمير تمامًا.

كانت خيبة الذكر تعلو فوق كل ما مر به من مآسي الحياة.. لكنه يظل البطل الذي لا يمكن الانتصار عليه والاستخفاف بفحولته المنكوبة، وها هو يكشف عن معدنه حينما استل من جيب سترته الداخلي هوية ليقول بكلمات متقطعة:

- وين ترررروح مني هذي العاهر... ليش عبالهة آني غبي... هذي هويتها عندي.

استدارت إقبال نحو النافذة لتكتم ضحكتها.

- مسكين.. زامل طول النهار يركض من مكان لمكان ويلبي طلباتها حتى دفع آخر ما يملك من فلوس وبالنهاية ما حصل على مبتغاه.

صمتَ. كان محمد معجبًا بشخصية إقبال القوية وتحملها لمثل هذه النماذج كابن خالته فيحاول أن يبدي تأسفه للموقف والاعتذار منها.

سبقهما زامل غاذًا السير نحو البيت بالرغم من فقد توازنه، وكان بين الفينة والأخرى يتلفت وكأن شبح المرأة يطارده فيرفع ذراعيه باسطًا كفيه ثم يشد قبضتيهما ولم يمسك بشيء غير الهواء.

" ترى أي دور يلعب، هاملت أم عطيل المخدوعين؟!"

عند باب العمارة حيث تسكن، انفجرت إقبال بضحك هستيري. تجمد محمد أمامها حتى قالت وهي تكركر:

- هذي المثقفة الراقية المغرم بها صارت عاهر؟.. لعد لو كانت وحدة عادية كان وين راح وياها؟... ربما للمريخ ها ها ها ها.

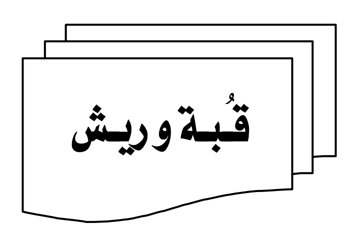
كان رجل الأعمال محمد في قمة الإحراج والارتباك فتأتأ:

- تتتصبحين ععلى خخير أخختي!.

ماترا

آيار ٢٠١٤

• • • • •



لا أستطيع وصف شعوري يوم وقفتُ في الدور لأسجل اسمي في سجل الصف الأول الابتدائي لابنتي في أول اجتماع لأولياء الأمور. كنت أخفي فرحي واضطرابي بابتسامتي لمعلّمتها أو لمن أعرف من بين الأمهات أو الآباء. إنها هديتي الوحيدة، التي رزقتُ بها في سن متأخر على الإنجاب.

أصغيت لكل ما قيل في الاجتماع من صغيرة وكبيرة ودونت كل شيء، حتى أنني سعيت قبل ذلك أن أجلس في أول رَحلة في الصف، وكأنني بذلك سأكتسب معرفة أكبر.

انتهى الاجتماع.

كتبت اسمي كاملا ووقّعت. وقبل أن أضع القلم سمعت صوت امرأة نابع من الفؤاد واقفة ورائي، رددت مرتين:

" علي.. علي "

التفتُ، فالتقتْ عيناي بعينين خضراوين وسحنة سمراء لامرأة ممشوقة القامة مرتبكة، رمشتْ بسرعة، أدارت وجهها هاربة من

نظرتي التي رسمتْ ألف علامة استفهام. ناولتها القلم شاعرة برجفة يدها من فوضى حروفها وهي تكتب اسمها. غادرتُ الصف ومن ثم المدرسة.

في طريقي إلى البيت، راودني إحساس غريب لم أستطع التغلب على سطوته، وصوت تلك السيدة وهي تردد اسم "علي " بطريقة سمعتها آخر مرة في بيت يقع في أحد أزقة مدينة الحلة حيث كانت النساء تلطم صدورها مرددات بإيقاع واحد بعد القارئة الندابة حيث كانت تقف على دكة في واجهة الحوش الذي صُفتْ أرضيته بالطابوق الأصفر والذي مازالت رائحته الرطبة تملأ أنفي، وما أثار مخيلتي هو تخلي الصبايا عن ثيابهن الفوقانية إذ كن يلطمن نصف عاريات بالثياب التحتانية، ناثرات شعورهن وهن يتحركن في دائرة وأرجلهن تكاد تحملهن بخفة في الأعالي، يلطمن جباههن تارة، وتارة أخرى صدورهن نصف العارية.

لم أفهم معنى الأبيات أو نطق الكلمات التي رددتها القارئة وقتذاك.

فمع هذا المقطع تلطم النساء ضاربات صدورهن بقوة:

" يا بو طبگ ريش "

ترد اللاطمات:

" علي "

" حمامة درويش "

" علي "

تجمدتْ نظراتي على شابة ذات بشرة قمحية اللون وعينين خضراوين. جسد فتي بض، ونهدان نافران، خصر نحيل، وكفل مكوّر، سيقان طويلة غاية في الرشاقة. كانت ترتدي ثوبا تحتانيا أسودَ شفيفا كاد ينصهر فيه لون شعرها الفاحم الطويل المنثور والمنسدل حتى منتصف فخذيها. راحت عيناي تلاحقانها وكدت أدوخ من الدوران المستمر دون هوادة. كنت أعجب وأنا الطفلة كيف لهذا الجمال أن يؤذي نفسه ولأجل من؟ وبعد الدراسة والمعرفة صرت أتساءل: هل هو نوع من التطهير أم المازوشية وتعذيب النفس؟ أم على الجسد أن يلفظ الحزن والأسى الدفينين كي يتطهر منهما، وتتحرر الروح من قيودها؟

أي عليّ كانت تندب الشابة التي فقدت طاقتها وتهاوت على أرضية الحوش تحت شعاع شمس رفيع شق طريقه عبر السقف المفتوح إلى دمعتين تندت بهما وجنتاها؟

وهذه السيدة المجرية، لماذا رددت اسم علي وبنفس اللهفة والألم؟

كنت أرافق ابنتي كل صباح إلى المدرسة، وهي أيضا. وكنا نتنقل في نفس الترام، وبين الحين والآخر أنظر إليها خلسة، فألمحها تراقبني أحيانا أو تتفحصني وتحاول إسكات وَلَدَيْها عندما أتحدث مع ابنتي.

بقينا على هذه الحال حتى وجدتها في عصر أحد الأيام واقفة عند باب المدرسة تحمل ابنها الأصغر على صدرها في كيس من

القماش يُربطُ بالرقبة ويُشد إلى الظهر حتى بدت كالكنغر. ارتبكتْ كعادتها محاولة الفرار أمام نظراتي، لذا بادرتُ بتحيتها، ارتسمتْ على شفتيها ابتسامة خجلى، لكنها ردت التحية بلهفة وكأنها انتظرت المبادرة منذ دهر. كان همها الأول أن تعرف من أين أتيتُ فقلت:

ــ من العراق

حملقتْ بوجهي، وارتسم تعبير على وجهها موحيًا ببلادة غريبة جهلتُ تفسيره. كنت اعتقد أن فيها عيبا ما جعلها تخشى الكلام بعد أن تمتمتْ مكررة بنبرة اختلطت بين السؤال والجواب:

ـ إ..إرراك.. إراك؟

ـ نعم.

ـ لقد لفتِ انتباهي في أول اجتماعٍ لأولياء الأمور، وسألتُ عنكِ ؟ وحينما قرأتُ اسم أبيك فكرتُ لابد أن تكوني عربية.

ـ وها أنتِ تعرفين الآن أنني من العراق.

ـ من بغداد؟

ـ من الحلة، من بابل.

باغتنا الأولاد بخروجهم من المدرسة فانشغلنا بهم وذهب كل منا في سبيله.

في صباح اليوم التالي كانت بمفردها، تحمل سلة وسألتني إن كنت أود الذهاب إلى السوق مشيا. رافقتها، لأن هاجسا ما جعلني أشعر

بأنها تود إكمال الحديث وربما لديها رغبة في قول شيء ما أو معرفة شيء تجهله.

ـ شعرتُ بأنك دُهلتِ بعض الشيء عندما عرفتِ أنني عراقية.

ـ لا أسميه ذهولا بقدر ما هو مفاجأة. لأنني بعد كل هذه السنين لم أتوقع أن ألتقي بعراقي.

سكتُ. ما أردت أن أظهر أمامها بمظهر المتطفلة أو الفضولية. فواصلتْ حديثها.

ـ في عام ١٩٧٩ تعرفتُ على شاب عراقي، أمضى فترة قصيرة هنا، ثم عاد إلى بلده، استلمتُ منه بعض الرسائل ثم بدأت الحرب العراقية الإيرانية، كتب لي من الجبهة أيضا، ثم اختفى أثره.

طأطأت رأسها وكأنها تخشى من أن أتطلع إلى وجهها، ثم نظرتْ إلي فرأيتُ سحابة من الدموع قد ضببت زمرّدتي عينيها. اضطربتُ بعض الشيء و سألتها:

ـ كان اسمه " علي " ؟

ـ نعم. وتلك هي المفارقة. أنتِ أيضًا عراقية وتحملين اسم علي ـ تنهدتْ، ثم استرسلتْ في كلامهاـ لعلي بشرة سمراء داكنة، وعينان زرقاوان كزرقة البحر، وقامة نحيفة شاهقة كنخلة عراقية. وما أجمل أصابع يديه النحيفة الطويلة. له أنف كبير.

توردتْ وجنتاها وهي تصفه، وعندما لمحتْ ابتسامتي، سكتتْ وارتسمَ على وجهها حياء أنثوي مضيفة:

ـ بالطبع يجب أن يكون للرجل أنف ضخم.
جاء المهندس علي مع صديقه في سياحة إلى هنغاريا، وسكنا عند سيدة مجرية. ودعتْ الصدفة أن تدعو حفيدة السيدة صاحبة البيت صديقتها مارغريت لزيارة جدتها التي استقبلتهن بمرح قائلة:
ـ استأجر هاتين الغرفتين شابان عراقيان ظريفان.
لم يعنِ لمارغريت أي شيء ذلك الخبر. وما علاقتها بالموضوع ـ فكرت بداخلها ـ وبينما هي ترشف قهوتها شخَصَ أمامها شاب نحيف، طويل القامة ذو وجه حاد التقاطيع إلى درجة مخيفة، تكاد تثير القلق والشك. لكنه حينما ابتسم ملقيًا التحية، انبسطت ملامحه وصار شخصا آخر. لم تدرك مارغريت سر خفقة قلبها في تلك اللحظة. شارك السائحان النساء الثلاث باحتساء قليلاً من الشراب. وردّا على أسئلة كثيرة إرضاءً لإشباع فضولهن في معرفة الكثير عن هذين الغريبين والبلد الذي قدما منه.
تطلعت مارغريت إلى ساعتها مشيرة إلى صديقتها بالعودة إلى بيوتهن. فهمَ في الحال علي بأنهن سيغادرن فغمز صديقه ليستعدا للمغادرة هما أيضا. خرج الجميع وكان طريقهم واحدا.
كان علي يسير جنبا إلى جنب مع مارغريت ودون إرادة منه لامست يده أطراف أصابعها فشعرت بقشعريرة تسري في عروقها. التفتت نحوه وكان الغسق في دقائقه الأخيرة وقرص الشمس على وشك أن يغرق في نهر الدانوب، فانعكس لونه الدامي

على البشرة السمراء، وتألقت زرقة عينيه برغبة عارمة قد تلتهمها في لحظات.

بدا ليل السهاد طويلا، مالذي حدث، وما سر هذا الجنون الذي يعصف بالقلب فينتفض بين الحين والآخر دون هوادة؟ هل هو الحب الذي يداهم دون سابق إنذار، فيجتث الفؤاد كما تقصم الصاعقة الشجرة إلى نصفين؟.

لا.. لن تستسلم له، لمن المستحيل أن يباغتها مثل هذا الإحساس الذي لا تعرف كنهه. إنه لا يتناسب مع شخصيتها وسلوكها المتحفظ حتى مع أبناء بلدها فكيف بغريب رأته لساعات؟

في مكان عملها، بقيت صامتة طوال النهار، كان وجه علي ملازمًا لها أينما نظرت، لم تع ما يدور حولها، ولم يرتسم على شفتيها طيف ابتسامة لنكات وثرثرات زميلاتها وزملائها حتى قدم المهندس بيتر الذي تربطه بها علاقة صداقة حميمة منذ أربع سنوات. كان ودودا، دافئ المشاعر وهادئا.. شعر بأنها ليست معه فودعها مغادرا المكان.

خرجتْ وكانت بودابست تستحم بنور وحرارة شمس ربيعية كأنها فارقتها منذ دهر. لم تكن لديها الرغبة في العودة إلى البيت مباشرة، فراحت تتجول وتتطلع باحثة عن البراعم التي طال انتظارها في فروع الأشجار. ثم انحدرت نحو النهر وقت الغروب، أحست بلسعة برد فغيرت اتجاهها داخلة أحد المحلات

للتسوق فغمرها دفؤه وشعرت بالارتياح والجوع معا. أكلتْ فطيرة بالكرز، ثم دفعت الحساب تاركة المكان.

استقبلتها أمها بلهفة، وارتسم القلق في عينيها حينما لمحت شحوب وجه ابنتها الكبرى. لماذا لم تكن لديها رغبة في تناول العشاء مع العائلة؟. ترددت في الكلام ثم دلقت من قلبها الهم الذي اعتصره. أدركت الأم سبب بحث كلارا صديقة ابنتها لأكثر من ثلاث مرات عن مارغريت عبر الهاتف، إضافة إلى أن الابنة كانت ترفض الرد وتطرد كل فكرة لها علاقة بلقاء علي من جديد.

كان علي مع صديقه محمد كأي سائحين ينعمان بأوقات جميلة في البلد الغريب، لكنه لم يكف عن الاستفسار عن مارغريت لسبب يجهله هو الآخر. وبات يشغله غيابها واختفاؤها لثلاثة أيام بالرغم من سؤاله الملح عنها عبر الجدة وحفيدتها.

في عصر يوم ماطر همّت مارغريت مسرعة للخروج من مكان عملها، تجمدت في مكانها حينما لمحت عليًا يقف على الرصيف المقابل للبناية. ابتسم ملوحا لها بيده، فنسيت وتخلت عن وعودها لقلبها. ابتهجت وهي تشعر بكفه المضطربة تشد على كفها. كانت كلارا في انتظارهما مع محمد في مقهى قريب. جلس الأربعة ينعمون بدفء المكان وحرارة اللقاء غير المتوقع، ومنذ تلك اللحظة لم يفترقا حتى عودة علي وصديقه إلى العراق.

" عزيزتي مارغريت!

أكتب لكِ من جبهة القتال، دُعيتُ إلى الخدمة بعد اندلاع الحرب مباشرة، ولا أحد يعلم ما الذي سيجري لنا، أفكر بك دائما، أجد عزائي الوحيد في هذه الظروف الصعبة في خضرة عينيك ولهفتك. دفء جسدك مازال يسري في عروقي منذ آخر لقاء لنا، كلي أمل أن ألقاك ثانية، واكتبي على هذا العنوان...."

علي

لم يغمض لمارغريت جفن، شعرت بأن النهاية تقترب رويدا... رويدا خاصة وأن هذه الرسالة وصلت بعد انقطاع مفض ٍإلى انتظار بلا أمل، مساره طريق مسدود اسمه اليأس. وامتزج الحزن بالفرح، الأمل باليأس، السعادة بالتعاسة، والحياة بالموت، وبالرغم من كل شيء كتبتْ له، وطال الانتظار.

" عزيزتي مارغريت!

أكتب لك من المستشفى، لقد جُرحت في الجبهة، سألتني عن أمل لقائنا مجددا.. الجواب لا يعرفه غير الله... لقد فهمتُ من بين حروفك أن هناك من يود الارتباط بك.. لا أعرف ما أقوله الآن بخصوص ذلك.. لكني أريد أن أقول شيئا ربما لن يسمح لي القدر بقوله مستقبلا وهو أنني كنت صادقا معك ولم أمس عذريتك ليس لعدم رغبتي بك، ولكني ما أردت فعل ذلك وتركك وحيدة سواي.."

علي

جلس بيتر قبالتها يرقب شلال دموعها الذي ضبب حروف الرسالة. كان عاجزا عن مؤاساتها.

بعد أخر رسالة وضعت مارغريت عليّا في ركن سري في قلبها وأغلقته أبدًا حتى اللحظة التي رن فيها جرس هاتفي داعية إياي مشاركتها في تناول القهوة في تشرين أول ٢٠٠٣. استقبلتني مضطربة وصوت أم كلثوم يعلو من المطبخ من شريط تركه لها علي كذكرى.

قبل أن أجلس في المطبخ رمت الصحيفة التي تحمل صورة بغداد وهي تحترق على المائدة أمامي قائلة بغضب:

ـ سأحتفظ بهذه الصورة للتاريخ حتى مماتي. كنا قد خططنا بأننا سنذهب إلى العراق في الخمسين من عمرنا!

كنت أعتقد بأنها تتحدث عن زوجها، حتى عرفت بأنها تتكلم عن علي. ثم أردفت:

ـ لقد قُصفتْ بغداد في نفس اليوم الذي وصل فيه علي إلى بودابست قبل أربعة وعشرين عامًا. لقد تشتت الحلم وانتهى كل شيء. ونحن الآن في التاسعة والأربعين من عمرنا. ولا أدري هل مازال علي على قيد الحياة أم لا!

كانت المرأة ترتعش وهي تنفث دخان سيجارتها بعصبية، وتغالب دمعتها.

ـ لم يمر أسبوع دون أن أحلم به طوال هذه السنين، ماهذا الجنون يا إلهي؟! رأيته بالأمس يبتسم لي ملوحًا بيده في مطار بودابست، أفقت مرعوبة ولحسن الحظ كنت وحيدة.

راحت تردد رقم هاتف لأكثر من مرة.

ـ إنه رقم هاتفه في بغداد لقد حفرته في ذاكرتي.

ـ ما رأيك بالاتصال؟ لنجرب. ـ سألتها ـ

كانت كل ذرة وجزيئة من جسدها ترتعش في آن واحد، لم تقو على الكلام.

ذهبتُ نحو الهاتف وأدرتُ الرقم، وبعد المحاولة العشرين رن جرس الهاتف. حاولتُ جاهدة أن أتظاهر بالقوة أمامها وأمام نفسي. وجاء الصوت البعيد القريب.

ـ مرحبًا هل هذا بيت علي؟

ـ نعم تفضلوا من يتكلم؟ لا أسمع جيدا.

ـ هل لي أن أعرف مع من أتكلم؟ نحن أصدقاء قدامى لعلي.

ـ أنا أخته لكن علي...علي رحمه الله...

وجاءني الجواب كنصل سكين عتيق يدخل إلى قلبي، يتألق بالدم.

لم أصدق ما سمعت، فسألتها بصعوبة:

ـ في الحرب العراقية الإيرانية؟

صمتتْ، ورحتُ انصتُ بكل حواسي لها حتى سمعت حشرجة صوتها وهي تقول:

ـ قبل...قبل شهرين... في أحد التفجيرات.
كلمات ألقتها أخته وكأنها تحطم حشرة شريرة.
لم تفهم مارغريت اللغة، لكنها قرأت كل شيء في عيني. وضعتُ سماعة الهاتف. لم أرفع رأسي خوفا من أن تبوح عيني بالأسى الذي يعتري روحي، حاولتُ بكل ما أملك من طاقة حبس دمعتي وغضبي. لكنها سبقتني في طرح السؤال:
ـ هل مات علي؟
ـ نعم....مات.
قررت أن أتناول معطفي وأخرج، ستبدو المؤاساة في تلك اللحظة تافهة.. لم تحملها ركبتاها، أسندتُها حتى انهارتْ على أقرب كرسي. ارتديت معطفي تاركة إياها مع دموعها وصوت أم كلثوم يصاحبها بمقطع:
" أولى بهذا القلب أن يخفقا "
ركضتُ على السلم أندبُ مليون ومليون علي.. أخذتُ الحافلة باتجاه جزيرة القديسة مارغريت حيث قضت صديقتي مارغريت نهارا جميلا مع علي قبل عودته إلى وطنه. وسرتُ بلا هدىً في الجزيرة التي تقسم نهر الدانوب، وكنت أنظر يمينًا فأرى دجلة، وشمالاً فأرى الدانوب وصوت مرغريت وهي تقول:
ـ صحيح أننا لم نشرب من ماء نهر واحد، لكننا شربنا من نهر مشترك اسمه "الحياة ".

لم تكل قدماي من السير حتى وصلت إلى آخر نقطة في الجزيرة حيث يتوحد النهر، وقفت أرقب الموج وارتطامه الناعم بالجرف، مما أثار انتباه الفتيان حيث كانوا يحملقون بوجهي بريبة. واندس قلبي في سريرة الذكرى، في قتامة الظل الذي يسترخي في نفسي، يهبط علي كنجم مطفَأ، فأجبتهم بصوت خفي:

" أنتم لا تعرفون ماهو النهر! إن النهر بالنسبة لي بلد السراب والأشباح، حيث نسمع ضجيجا لا نعرف من أين، وحيث نرتعش دون أن ندري لماذا "

عدت إلى بيتي ولكن دون وعي مني رحت أردد ضاربة على صدري كما كانت تضرب الصبية ذات العينين الخضراوين صدرها بإيقاع رتيب:

" يبو قبة وريش....علي
إمام ودرويش...... علي
جينه نزوره...... علي
نحب صدوره..... علي ".

بودابست ٢٠٠٦
آب / تشرين ثان

• • • • •



حوار مع أبي الجِنِّيب

ـ قبل عامين خلت، في نهار شتاء بارد، كنتَ تقبع في عالمك الوردي ظانًّا بأن لا أحد سيكتشف آثار خطاكَ التي بدأتَ بها خلسة متسللاً إلى ذلك العالم المتماوج، تتأرجح صاعدًا ـ هابطًا معه. وفجأة داهمك شعاع لم تعرف مصدره فانكمشتَ على نفسك مختبئًا في الإسفنجية الوردية منتحيا اسمًا آخر.. لا.. لا عفوًا إنهم أخطأوا تشخيص هويتك وراحوا يكيلون لك الضربات تحت اسم آخر.

ـ كنت أصغي إلى نبضات قلبكِ الذي يجاورني، فأتألم لأجلكِ لأنكِ كنتِ تعتقدين بأنك ستتخلصين مني بتجرعك آلاف الأقراص البيضاء، الوردية والصفراء.. وكنت أعجب لإرادتكِ التي لم تُكسر أو تضعف. أجول معكِ في كل مكان، منصتًا إليكِ وإلى نبضات قلبك المجاور لي وأنتِ تمنحين الحب والمحبة لمن حواليك تارة، وتارة أخرى تغضبين وتنفرين من العالم المتحول إلى ساحة قتال، وكنت تخشين من أن تنتصر شريعة الغاب، وكيلا تضعف مناعتك صرتِ تلتجئين إلى الطبيعة مخاطبة الأشجار والطيور.

ـ مضت شهور طوال وكنتُ أظن قبل أن يُسلط عليكَ ضوء جديد، سأتحرر منكَ أبدًا وستزول أثاركَ ويعم الصفاء العالم الوردي الذي شوهته، بل قتلته... لقد حجبت عنه الهواء بهالتك حيث تقوقعتَ داخلها أيها المتطفل. لكنك كنت مصرًا على البقاء. إذن لم تكن أنت الذي اعتقدوك.

ـ ههه.. نعم.. لم أكن ذلك المسكين " السل" الذي لم يعد خطِرًا في عالمكم المتقدم. أصيب الجميع بخيبة أمل مرتاعين من عدم زوالي، تنهشهم الشكوك إلا أنتِ، واتفقتِ معهم على التحري عني بأسرع وقت. لقد دسوا ما أسميته أنتِ بالثعبان للمرة الثانية ليتقصى آثاري فوجدني رابضًا بين التشعبات التي تشبه فروع الأشجار بعد أن مد لسانه وغرس أنيابه لينقض علي مقتطعا إحدى أرجلي. كدتِ تموتين، لذا رأفت بكِ ولم أطلق بقية أرجلي للهجوم عليكِ وعدت متقوقعا في رمال عالمك الوردي.. هل عرفتني؟

ـ لم يكن بمقدوري التعرف عليك.. هم أخبروني، وفوجئت بحقيقة وجودكَ.. ولا أخفي عليك، وجودك أرعبني وأبكاني. ولكن قل لي: لماذا وقع اختيارك علي ؟

ـ لأنك ضعفتِ، وأنا لا أحب الضعفاء.

ـ آها! أنتَ إذن كالجبابرة، كالطغاة تسحق الضعفاء.

ـ لكني لم أسحقكِ بعد وها أنتِ تحاورينني، لقد جعلتِ مني أضحوكة حتى في أتعس لحظات تجرعك للسم.. ورحتِ تسخرين

من اسمي اللاتيني كارسينوما مستبدلة إياه بكازانوفا. لقد عشقك الكثيرون حتى خشيتُ من أن تطلقي علي اسم أحدهم.

ـ أنت السبب في تجرعي للسم أيها الخبيث!

ـ ها ها ها.. أنا وحدي الخبيث؟ ألم يكن بين من عشقك خبثاء خانوا العهد؟ وماذا عن الأصحاء الأبرياء الذين قُتلوا بالسم ذاته؟.. هل أنا كنت السبب أم أنتم بنو البشر الأذكياء.. لستم أقل خبث مني، صرتم تمهدون لي الطريق باستخدامه بتقدمكم العلمي. ثم توظفونه ضدي؟؟. أي كائن أنتِ ومن أي طينة خُلقتِ.. لم ينفع معك كيميائي و تأبين الخنوع أمامي؟

ـ أنا؟.. خلقت من طينة الفرات.

ـ مهلا.. لا تكملي! الفرات هو السبب، تذكري نحيبكِ وأنتِ ترينه بعد ربع قرن من الفراق، حتى خارت قواك، وجاء دوري لأنتقم منكِ يا من كنت تسخرين مني في طفولتك مع أقرانك وكانت قدماك الصغيرتان العاريتان تغوصان في رمال شاطئ الفرات لتصيحي : شوفوا هذا أبو الجنيب شلون يعرج! كنتُ أتخلى عن إحدى أرجلي مختبئًا في الرمال حتى استعادتها مجددا. ها.. ما رأيك لو استعدتها الآن؟

ـ لا.. لا أرجوك أمهلني كي أعود للفرات!

لا تتوسلي.. قلت مسبقاَ لا أحب الضعفاء!

ـ شعوركَ بالنقص إذن جعلك تكرع من الخبث حتى مُسختَ إلى شيء يسمى بالخبيث. وأنت وغد كالطغاة!
ـ لا أنكر ذلك.. عودي إلى التاريخ ستجدين الشعور بالنقص ولد الطغاة، هذا الشعور الذي يقود إلى الخبث.. ولكن الفرق بيني وبينهم أنني أحترم الضعيف حينما يقوى ويتصدى لي.. فأتركه بسلام. وها أنتِ الآن ً أكبر دليل على ذلك.. تكابرين متناسية الآلام.
ـ من قال لك ذلك؟ كيف لي أن أنسى سوط النار الذي كان يمزق أحشائي محولا جسدي إلى دمّلة أو جرح كبير.. حتى كنت أشعر وكأن ساعة القيامة قد دنت وأنا أكتوي بنارها التي أرعبونا منها في الصغر ولا نزال.
ـ ومع ذلك كنتِ تضحكين وتغنين وتكتبين وترعين عائلتك الصغيرة، لذا تركتك تكملين طريقك، معتكفا غاضًا الطرف عنك، حتى انسدل أمام ناظري على حين غرة ستار أسود عتّم على عالمي الوردي، ثم سمعتك ترددين بيت شعر حفظتِه ربما في الخامسة عشرة من عمرك:

"يا شعرها شلال بحر أسودِ
ألمّه سنابلا ، سنابلا لم تحصدِ"

انزال الستار الأسود.. وانهار شلال صافٍ يلمع في ألق ماسّي.. فأدركت أنها دموعكِ وانعكاس ضوء المرآة التي كنت تقفين أمامها

شادة بيدك على سنابلك الداكنة، مرددة أمامها: لقد سقط تاجك يا امرأة!

ـ لكن الفضل يعود لكَ.. فها أنت تحصد السنابل وتُسقِط التاج.

ـ سيّان عندي، أنا لا أميز بين جبار وضعيف، بين رجل وامرأة، بين كهل وطفل، بين وغد ونبيل، أتسلل حينما تسنح لي الفرص. هل نسيتِ أنكم وضعتموني في برج ليرتبط اسمي بيوم ميلاد بعضكم كي تتنبئوا بطالعكم لأكون جوار برج حيوان ضارٍ مفترس تكنّون له الاحترام، ناسين أنّ باستطاعتي أنْ أكون أشد ضراوة منه ولكن بهدوء دون زئير أو عنجهية الملوك.

ـ آه! تذكرت اسمك الآخر وعرفت لماذا أطلقوه عليك.

ـ أي اسم تقصدين؟

ـ السلطعون.. لم يكن عبثًا تشبيهي لكَ بالطغاة، وانظر فاسمكَ يجمع بين السلطان وفرعون، كيف لا وأنتَ تمتلك قسوة السلطان وجبروت فرعون على حد سواء.

ـ هه.. ومع ذلك نكون ضحيتكم تقدموننا على موائدكم، وتمضغوننا بلذة.

ـ ولكن أيهم أنتَ يا من تسكنني؟ سمعت عن أحد أصنافك الذي ينظف شعب المرجان.. فهل أنت ذاتك جئت لتزيل من شعب إسفنجتي الوردية بقايا الكلس التي خلفها تَوقي إلى بث الروح في الحجر وإنطاق مخلوقاتي المرمرية ؟

ـ ربما.. لكني لا أمتلك ذاكرة حديدية كذاكرتك..
ـ تذكر أرجوك!!
ـ لماذا لم تسألي الأذكياء الذين واظبوا على حقنكِ بالسم دون جدوى.. أهي تجربة جديدة لعالَم متقدم في صناعة السلاح ومن ضمنه الكيميائي. وجب تطبيقها عليكم؟
ـ نعم كنت فأرة بيضاء يجرون عليها تجاربهم الموجعة، ولم يهمهم سوى نجاح التجربة أو فشلها. وكانت النتيجة صفرًا.
ـ لا.. لا.. لا تنتقصي من قيمتك.. لم تكوني فأرة ذليلة.. كنتُ شاهدًا على حركاتِك وسكناتِك.. لم تستسلمي لسرير المستشفى كالآخرين، بل كنت تتصرفين وكأنك ذاهبة إلى نزهة في الجبال تاركة السرير الأبيض خلفك ـ قبل جرعة السم، واضعة ماكنة التصوير في جيبك.. تجوبين الحديقة الجبلية لتنعمي بجمال الطبيعة خوفا من الرحيل الأبدي الذي سيحرمك منها، حتى قدم الربيع حاملا لك أزهاره حيث خلدتِها في صور مع المستشفى. كان تغريد طيوره الصغيرة الملونة يبعث في قلبك البهجة. مر الصيف وكأن شيئًا لم يكن.. كنت تركضين في الغابات مختبرة طاقاتك إذ اعتقدوا أنها ستنضب.
سمعتكِ تخاطبين نباتات حديقتك في الخريف قائلة: " سأعود إليكم في الربيع وسأرعاكم حتى بعد عشر سنوات لأنكم كبرتم مع ابنتي

التي أريد أن أراها وهي تشب معكم " وها أنت تحاورينني في ربيع جديد. تحرثين الأرض وتنثرين البذور....

ـ كفى... إخرس! إصغ إلي.. دعني إذن أجني ثمار ما زرعت، احذر! فأمامك خياران إما أن تذهب بعيدا أو تبقى راكدًا وإلا سأكون أشد خبثًا منك وأمحوك من الوجود!!

ـ أمرك... سيدتي.

٣٠ - ٤ - ٢٠٠٨

• • • • •



لا أنكر أنه لفت انتباهي بوسامته ولباقته، باستقامة ظهره، وحتى بطريقته في تأدية التحية عندما كنا نلتقي مصادفة، وبشكل يكاد يكون متواصلا في ساحة لعب الأطفال، صباحا وعصرًا. كنت سعيدة وفخورة أمامه بابنتي وهي في الثانية من عمرها وتمتلك تلك البراعة في الجري وراء الكرة مع أولاد العشر سنوات كي تسجل هدفًا. يمتدحها ويحث حفيدته على اللعب مع الصغار. كنا ندخل في حوارات طويلة، نبترها فجأة عندما نرى أن الوقت قد حان للعودة إلى بيوتنا.

في كل ساحات اللعب وكما ألفناها، يبدأ الحديث بين الناس حول الأطفال وتربيتهم وعاداتهم، ثم يتطور للخوض في السياسة والفن والأدب، وإن كان أجنبيًا، من أين أتى ولماذا وكيف تأقلم على حياة البلد والعادات والتقاليد. ونظل نسمع قصصًا وأساطير عجيبة غريبة، بينهم من يتحفظ في قول رأيه، وللآخر حكم مسبق تجاه الأجانب، وتضجر الأمهات الشابات أحيانًا من عبء تربية الأطفال والتذمر من الشريك، ومرة تطفح كلماتهن بالحب والنشوة خاصة بعد مضي عطلة هادئة مترفة مشحونة بالمشاعر التي افتقدنها في أيام العمل.

تمرُّ الأيام والشهور و يبدأ عام جديد، تغيب وجوه لتحل محلها وجوه مواليد جديدة، ونظل نلوك الكلمات ونلعب مع الصغار.

وكان هو.. كلما رآني ابتهج، لم أعرف سر فرحته بي ولماذا لا يحدّث نساء بلده؟ ألمح الاستفهام في عيونهن. كان صوته خافتا حتى وإن غضب من حفيدته، لم أره أبدًا يجلس في فيّء شجرة كالمتقاعدين. وحينما أودعه أرى حزنًا شفيقًا في عينيه مع ابتسامة رقيقة. وفجأة غاب، تُرى ماذا ألمَّ به؟ لم يكن مريضًا، لم أسمعه يشكو أبدًا كعادات المتقاعدين من كلا الجنسين وكأنهم يحصدون اللذة في التسابق على تعداد أمراضهم.

وذات يوم وأنا أسرع في دفع الحساب بعد التسوق كي أذهب لجلب ابنتي من الروضة، سمعت همس تحية آتية من ورائي وبلغة البلد التي تعني:

ـ أقبّل يدك..

ـ أهلاً نهارك سعيد!

فرحتُ لوجوده، واستفسرت عن أحواله، كان كطفل فقد لعبته وهو يقول:

ـ أنا بخير، للأسف، انتقلتْ ابنتي إلى مدينة أخرى. أفتقد وزوجتي حفيدتنا الصغرى، كانت الملعونة بالرغم من مشاكستها تلوّن حياتنا الهادئة.

خرجنا، كنت في عجلة من أمري، فراحت الكلمات تتطاير من فمي بسرعة البرق عبر عشر خطوات لأوفيه بأخبارنا، ركضت

وأنا ألوّح بيدي متمنية له الخير والصحة، وقبل أن يرفع يده ارتسم ذاك التعبير الذي ألفته على وجهه عندما يودعني.
شبّ الصغار وكبرت الأمهات، ومِن بين الأجداد مَن شاخ ومن رحل. ولم يبق من ساحة لعب الأطفال غير ذكريات عن هذه وتلك وهذا وذاك. كلٌّ مضى في سبيله شاقا طريقا رسمته له ظروف حياته نحو مصير محتوم. واليوم بعد عشر سنوات لآخر لقاء معه، وفي صخب محطة قطار المترو التي ازدحمت بالبشر قبل أعياد الميلاد، لم أسمع صوتًا يناديني في الضجيج، وشعرت فجأة بيد تحط على كتفي، جفلتُ للوهلة الأولى، استدرت وإذا به، والغبطة تلوّن وجهه بمشاعر حميمة لرؤيتي. هو بقامته المستقيمة. مازالت تقاوم تضاريس الزمن. خلعت قفازي لأصافحه فشعرت ببرودة يده. كان يحمل مجموعة من الطوابع التي جمعها طوال حياته ليعرضها للبيع في إحدى المحلات بعد أن خاب أمله بأحفاده إذ أبدوا عدم اهتمامهم بها. كان على يقين بأنه سيحصل على ثمن باهظ يستطيع به شراء هدايا مناسِبة لأعياد الميلاد. استفسر عن وضعنا، وبما أننا اعتدنا الحديث دائما عن الأدب فأخبرته عن الترجمة التي أقوم بها. أخذ بيدي لنقف جانبًا، وكأن العالم قد تلاشى من حولنا راح يحكي لي قصة قرأها قريبة إلى قلبه يود مني ترجمتها.
ـ لماذا هذه القصة بالذات؟ سألته..

ـ لأنني أرى فيها نفسي. كنت أعشق فتاةً قبل انخراطي في الجبهة في الحرب العالمية الثانية حتى وقعتُ في الأسر في معسكرات الاتحاد السوفييتي، كنت أحلم بها في كل ليلة، أتدفأ بحرارة عينيها، ظلت تنظر إلي من صورتها التي رافقتني حتى عودتي، وعدت أبحث عنها. كنت في الثانية والعشرين، وهي لم تكمل العشرين بعد. لم أجدها، ضاعت تحت ركام الأنقاض. كانت لها عينان واسعتان دافئتان، وشعر طويل داكن كشعركِ.

صمتَ.

عرفتُ بعد أكثر من أربعة عشر عامًا الرد على سؤال يدور في خلدي. عن سر لم تعرفه حتى من تعيش معه، سر تلك المشاعر الحميمة تجاهي. تلاشت الابتسامة التي عهدتها وكأنه اليوم يسمع خبر رحيلها. خرجنا من محطة المترو، لم أعرف ما أقول له، وقفنا تحت الثلج الهاطل بغزارة وسط الباعة، وغصة تحبس كلماتي، مددت له يدي فضمها بين كفّيه وشعرت بنابض الثمانين عاما مازال يخفق لذكرى الحبيبة. ودعته، أغالب دمعتي، تاركة إياه في الزحام يبحث عن شال من الصوف لزوجته التي وصفها بالطيبة ليمنحها الدفء في أعياد الميلاد.

بودابست

١٨- ١٢ - ٢٠٠٥

• • • • •



حمامتان

كان يتحرق للمسة يدها. لم يجرؤ على البوح لها بإعجابه بها. احتار في أمرهما، هل ضَعْفُ شخصيته أم سلوكها الغريب أملى عليه كل هذا التردد في المبادرة بالقول أو الفعل؟ ومع ذلك يبقى هو المحظوظ الوحيد بين أقرانه من طلاب صفه في الجامعة لأنه بفضل جيرتهما ينعم بالتفرد بصحبتها في وسائل النقل وفي الشارع الطويل المؤدي إلى بيتها.

تعمدت العجوز الوقوف في باب العمارة التي تفصل بين بيتيهما مفتعلة انتظار ساعي البريد ومنتظرة عودة الشاب بعد أن تدخل الفتاة البناية فاستوقفته ب" عفوا.. هل رأيت ساعي البريد في طريقك؟"

"لا سيدتي.. أو ربما كان ولكني لم ألمحه"

" طبعا.. من له حبيبة جميلة لم ينتبه لغيرها" ضحكت العجوز.

ارتبك الشاب في البداية ثم هز كتفه ليقول بفخر:

" آه.. طبعًا.. طبعًا.."

سكت ثم أضاف:

" معذرة يجب أن أسرع إلى البيت"

" اذهب يا ولدي.. مع السلامة"

تعثر في مشيته ثم تلفت يمينًا ـ شمالاً وكأنه يخشى من أن أحدًا ما سمع كذبته التي كان يتوق إلى سَحرها إلى حقيقة.

" هه..حبيبة.. حبيبة.. كم من الشباب اعتقدوا أنها حبيبتهم في الخيال مثلي؟"

مرضت العجوز وما كان بإمكانها النهوض من الفراش عصر كل يوم والوقوف عند النافذة لتستمتع بضحكات الفتاة وغنجها حيث يعيدان بها إلى أيام شبابها، حتى أنها لم تكتفِ بذلك بل أقامت علاقة طيبة مع الشاب لتستدرجه عن علاقته بالفتاة، ولكن دون جدوى فهو من النوع الكتوم الذي لا يبوح بأسراره أمام الغرباء.. ولكنها عرفت من بين كلماته شيئًا عن طبع الفتاة التي توحي للآخرين بالوعود إذ حالما تتشتت بنقضها لها عندما تتحول أحلامهم إلى حقيقة.

استلب العجوز من ساعة قيلولتها صوت الشاب المترامي إليها تحت النافذة فدعكت عينيها متوثبة للإصغاء إلى كلامه. نهضت بتوجس لتزيح الستارة كي ترى ما يجري بينهما.

كان ذكر الحمام قد نفخ ريشه هادلاً بنغم يغوي فيه الحمامة الرشيقة. وقف الشاب والفتاة يرقبان الحدث.

" انظري.. انظري كيف يتوسل إليها"

كركرت الفتاة.

" انظري كيف تذله.. يا للعار!!"

"ها ها ها"

تعالت ضحكة الفتاة.

راح الذكر يدور حولها والحمامة تهز ذيلها تارة وتارة أخرى تلتقط ما توفر على الأرض دون أن تعير انتباهًا لذكر الحمام إذ نفد صبره فارتفع عن الأرض قليلاً ليداهمها، لكن الحمامة هبت كومضة لتطير حاطةً على غصن شجرة. طار بعدها ذكر الحمام وقبل اقترابه منها حلقت بعيدًا في الفضاء. ارتبكت رجلا ذكر الحمام. رغبته الجامحة أفقدته توازنه وكاد يسقط على الأرض، فصاح الشاب الذي تجمدت نظراته على ذكر الحمام:

" انظري! يا لتعاسته.. انظري رمى بنفسه من على الشجرة.. سينتحر لم يعد يحتمل الذل والانتظار.. سينتحر... سينتحر!!"

تطلع الشاب فيما حواليه فلم يجد أثرًا للفتاة... تركته مع ذكر الحمام وحيدًا.

ماترا

٢٧ - ٨ - ٢٠٠٩

• • • • •



لمسة الفجر

كانت وحيدة، فاستغلت سفر زوجها وغياب ابنها وراحت ترتِّب أوراقها ودفتر تلفونها، تتغير ملامح وجهها بين الفينة والأخرى عندما ترتاح عيناها على أحد الأرقام أو الأسماء، وتسرح في ذكرياتها، تتوهج عند رقم يوحي لها بالكلام المعسول الذي داعب أذنها ذات يوم، وتنقبض أساريرها ويختلجها حزن عميق لرؤية أرقام من رحلوا إلى اللحد البارد ومن غابوا دونما عودة.

رقم يتيم بلا اسم يحتل الورقة الأخيرة، تُرى من صاحب الرقم، ومن كتبه؟ شكل الرقم لا يدلل على كتابتها. وضعت رأسها بين يديها واستغرقت في تفكير طويل غير مجدٍ. عطشت. الكأس على المنضدة، وبحركة مضطربة مدت يدها لتتناولِه. انسكب الماء، ساح على الأوراق والهاتف. أسرعت لتجففه، تضبّبَ الرقم وسماعة الهاتف تحولت إلى دوش، وظلت بين ضاحكة وغاضبة. جلست وسماعة الهاتف في يدها وكأن صوتا آتيا من بعيد يحث يدها الأخرى كي تدير الرقم.

ـ نعم... تفضل.
يا إلهي! إنه صوت رجل لم تألفه من قبل، وفي هذا الليل، ما الحل؟ لو وضعت السماعة سيظهر الرقم عنده، وعلى أية حال لابد من الرد... كانت كمراهقة خجلى تتورد وجنتاها ويخفق قلبها حينما تخطط لأول لقاء مع الآخر.
ـ أرجو المعذرة، اتصلتُ بدافع الفضول لا غير.
ـ هل أستطيع معرفة الاسم ؟
قالها بحيادية.
تلعثمت متأتئة اسمها.. حل صمت مريب في الجانب الآخر، اعتقدت أنه تركها لحالها، فرددت اسمها ثانية.
ـ أسمعكِ. نعم نحن نعرف بعضنا منذ زمن طويل. إن صديقنا المشترك ترك رقم هاتفي عندكِ.
ـ ووو لكني....
خشي من أن تعتذر وتضع السماعة فاستبقها في الفور.
ـ أين تسكنين؟
ترددت، ارتعشت أوصالها لا تقوى على الخروج من هذه الورطة فذكرت اسم الشارع. رنّ صوته مهللا.
ـ إذًا نحن في مدينة واحدة، تفصل بيننا خمسة شوارع ـ كان حذرا من أن يكون فجًّا ومباشرًا ـ إن لم أكن متطفلا، هل لي بطلب صغير؟

ـ ما هو ؟

همست.

ـ أن تنزلي إلى الشارع ، وتأخذي قطار المترو باتجاه الجسر و تنزلي في المحطة الثانية عند المقهى حيث أكون بانتظارك.

ـ أسميتَه طلبا صغيرا، وفي هذا الوقت المتأخر والبرد؟ ! أأأنا..

عليه أن يقرر الآن، يجب أن يكون حازما وإلا ضاعت عليه آخر فرصة في العمر فباغتها بشجاعة.

ـ ألم تقولي بدافع الفضول؟ إذًا ارضي فضولكِ !

لم يترك لها مجالا للخيار. سعلت، ابتلعت ريقها، أحست بالظمأ وبالرغم من دفء البيت ارتجفت قائلة:

ـ حسنا، أنا قادمة.

أي معطف ترتدي في تلك المدينة التي اكتست بمعطف الثلج ؟ كسرت اللون الأبيض بالأزرق الغامق، وكيلا تذوب في العتمة وضعت شالا حريريا مورّدا. لم تنس أحمر الشفاه والعطر كعادتها. أكملت لباسها، ومن شدة توترها نسيت قفازيها وخرجت.

لم يكن الوقت كافيا كي تفكر بما تقوله لزوجها الذي يعشقها، إنه الآن في بلد بعيد، وابنها يرشف بهجته في حضن حبيبته.

منذ زواجها عدلت عن الخروج في الليل وحدها، تتلفت يمينًا وشمالاً. دقائق وها هي تراه أمامها شاخصا، لا يشبه أهل المدينة الباردة بلونه الداكن. ابتسم لها، لم تخرج يديها من جيبيها. فتح باب

المقهى مشيرًا إليها بالدخول واضعا يده الأخرى على كتفها. ساعدها في خلع معطفها فشعر بها ترتعش كسعفة في هبوب. جلسا في ركن قرب النافذة فرأى وجهها في ضوء ينضح من زجاجها، بلون الثلج. التفتت، سقط نور مصباح المقهى على عينيها، كان مسحورا بها وبلعبة الأضواء. يحدجها بنظرات ثاقبة فكادت تذوب وتتلاشى. شبك أصابعه واتكأ بذقنه على يديه قائلا:

ـ يا إلهي ! مازلتِ بتلك الروعة !! هل عرفتني؟

كانت تلوذ بالفرار من أمام عينيه، تفرك يدا بيد، ثم رفعت يدها لتزيح خصلة شعر انسدلت على وجهها فجأة.

ـ لا أدري، ليس بالضبط.

كان مأخوذا بألق عينيها، غاضّا الطرف عن خط عميق بين حاجبيها يذكّره بساقية صغيرة في بستان نخيل نضب ماؤها.

ـ لماذا تركتِ الرسم؟ كنت صبيا أتفرج عليك وأنت ترسمين في حديقة داركم.

تذكرته، ورويدا.. رويدا عادت إلى ذلك الزمن فرأته صبيا ابن العاشرة وكانت هي في الخامسة عشر من عمرها.

ـ بسبب قضية خاصة، كرهت الرسم.

ـ مساء الخير.. ماذا تشربان ؟

سألتهما بلغة البلد.

صوت النادلة الشقراء رفع عن كاهلها عبء الرد والكلام. فقالت :

ـ شيئا ساخنا.

ـ لدينا نبيذ حار نقدمه في مثل هذه الليالي الباردة.

قالتها مبتسمة.

تذكرت أنها منذ اثنين وعشرين عاما لم تشرب مع رجل غريب.

ـ لا.. لا شكرا أنا لا أشرب النبيذ.

أراد أن يخفف من حدة اضطرابها فاختصر الكلام قائلا:

ـ يفقد الكحول عند الغليان ويحتفظ بطعمه فقط.

ـ آه.. ليكن.

قالتها مستسلمة.

اتّحدا فجأة تحت جلباب الصمت الذي كسرته رنة الكأسين ورائحة النبيذ الحار المتبّل. رفع الكأس شاربا بصحتها.

احتضنت الكأس بين يديها وكاد لون النبيذ يخترق يدها الشفيفة المتناهية الرقة والنحافة، ذكّرها بجمرات المنقلة التي كانت تتدفأ بها في طفولتها. رشفت من النبيذ الحار، فرأى كتفيها يسترخيان وهي تحتوي الكأس بين يديها.

ـ كان أبي معجبا برسومي. كان يرى في رسامة المستقبل. في ذلك السن تحلم الفتيات بالفارس وباليوم الموعود. وأنا.... كانت الورقة ملاذي أصب فيه كل ألوان رغباتي وطموحاتي وأحلامي. ذات يوم أرسلني إلى رسام يقربه ليقول رأيه في موهبتي. أدخلني مرسمه، لم أتطلع إليه، كان عبق الزيت يسري في عروقي.

استلبتني رشات الألوان المائية التي كنت مهووسة بها. أجلسني على أريكة وجلس قربي فوضعت أوراقي بيننا، أليست هي المهة؟ صار يقلّبها، لم يكن في عجلة من أمره، كنت شغوفة لسماع رأيه بعدما صار كالمارد أمامي بلوحاته بالرغم من ضآلة جسده. وأخيرا نطق :

ـ رائعة.. أقولها جادا.

أضحى قلبي طائرًا يخفق بين ضلوعي ليكسرها ويطير في فضاء مرسمه. رفعتُ يدي لأبدأ الكلام، مسك بها فشعر بنبض القلب، ركنها بكل حنان في حضني كما تضع الأم وليدها في مهده.

ـ لا تتحركي!

رفع القلم وراحت يده ترافق انسيابية الخطوط. وضع القلم جانبا، لامس يدي وقال يريد أن يحسها، كانت يده باردة مثل هذا الثلج. صعد بها رويدا رويدا...وأنا الطفلة أخذني الذهول، لم أصحُ منه إلا بعد أن شعرت بأن يدا كالأخطبوط تشد على رقبتي وصوته المرتعش : ما أرقها !!!

حاولت الابتعاد. كان أقوى مني. انقض علي، وكنت بين يديه عصفورا ذبيحا. في ذاك العمر كانت القبلة تشكل بالنسبة لي اعتداءً جسديا وروحيا. لملمت ألواني على أوراقي. لقد اتسخت ودخل الأسود بالأبيض والأحمر بالأصفر والأخضر، وصار لون السماء بنيا، ولون الأشجار رماديا،وابتسامة الفتاة الصغيرة في

الصورة اختفت والدموع المنسابة من عينيها غسلت الوردة من على ثوبها الأبيض.

ركضتُ إلى الشارع، وكان مطر أيار دافئا، رفعتُ رأسي إلى السماء أستقبلهُ، فليغسل الحزن ويمحُ آثار الألم!.

وصلت البيت. وضعت أوراقي التي غسلها المطر. نظرت في المرآة فرأيت كدمة زرقاء على شفتي. رمت أوراقي ألوانها وظلت الكدمة الزرقاء تكدر بياضها وبياض روحي.

صمتت، لم تنظر إليه، ارتشف جرعة من النبيذ الحار وقال ليكسر صمتها :

ـ أسمعكِ.. أكملي !

أطلقت تنهيدة عميقة قبل أن تسترسل في الكلام.

ـ لم يعرف أبي سر هجري الرسم أبدًا. استلم بطاقة دعوة لافتتاح معرض للرسم، لم يقل لي سوى : تعالي معي.

دخلنا المعرض، وكان يضج بالزوار. تركتُ يد أبي وتسللتُ بين الحشد لأرى إحدى اللوحات تتصدر المعرض، كان يبدو واضحا تركيز الأضواء عليها، عنوانها "الصرخة " ورأيتني يومها أمام نفسي إذ كان وحده شاهدا عليها.

لجأت إلى الكتابة كي أعبر عن صرختي وعما يعتري نفسي من مباهج وأحزان.

ـ وهكذا دخلتِ كلية الآداب.. كنتُ في السنة الأولى وأنتِ في الرابعة،أحاط بكِ الشباب، كنتِ مرحة تشعين بالحيوية، وأنا الصغير لم أجرؤ على مخاطبتك.

حاولت التقرب منكِ ذات يوم في معرض للرسم في الكلية.. كنت أرى فيك كل شيء يتحرك، أوقفني صديقي، فعدلت عن محاكاتك.

رفع الكأس بيده اليسرى ولمح نظرتها التي تجمدت على أثر جرح نبتَ في يده.

ـ نعم في ذلك اليوم عدت إلى البيت مرهقا، شربت من بقايا النبيذ الأحمر الذي تركه الأصدقاء، ثم انكببت على وجهي وغرقت في حلم.

رأيتك على قمة جبل أملس، حاولت ارتقاءه، وكلما تسلقته ومددت يدي نحوكِ ، سقطتُ.. سقطتُ في هوة. استيقظت مذعورا، أشعلت سيجارة وأطفأت جذوتها في يدي، أراكِ فيها دائما.

صمتا، لم ينظرا إلى بعضهما، يحدقان أمامهما إلى اللاشيء، غير أن صوت المنظفة كان يرن كجرس المنبّه.

ـ صباح الخير للجميع !

جفلا، استدركت حياءها فقالت ضاحكة :

" وأدرك شهرزاد الصباح "

فأكمل بصوت ودود :

" و سكتت عن الكلام المباح "

لاحت خيوط الفجر الفضية. ارتديا معطفيهما وهمّا بالخروج.
وقفا عند باب المقهى، ابتسمت له،مد يده ليلمسها، استدارت، خطت خطوتين، في الثالثة أحست أنها تسقط في الفراغ. أعادت قدمها إلى موضعها والتفتت، وجدته على وقفته مغمورا برذاذ الفجر منتظرا. عادت اليه، احتضن كفها الحار، ارتجفا، سحبت يدها بعناء مرتبكة، وشعرت بتوحد لمسة الروح والجسد. استدارا ذاهبين من حيث أتيا.
لقد أحسّا بطعم الحرية الحقيقي.

بودابست
٢٠ - ٢ - ٢٠٠٥

● ● ● ● ●



إلى الفنان رضا حسن رضا

لم تعلم سر سحابة الحزن التي انسدلت على عيني زوجها. لم يكن راغبا في الخروج من البيت، فراحت تترجاه أن يترك العمل والكومبيوتر جانبًا ولينعما بدفء الشمس النادرة التي تجعل البهجة تزهر في قلبها، في شتاء تلك المدن النائية عن الوطن.

ترك كل شيء متطلعًا إليها بنظرات مفعمة بالحب، ليس له غيرها. غادرا البيت، لكنه كان ساهيًا عنها في عالم تجهله. تطلعتْ في عينيه الحزينتين، فقرأ عتابا في نظراتها. طوّق خصرها هامسا بأذنها:

ـ ما بيّ شي، بس قريت قصة ذكرتني بطفولتي، أو بالأصح بحادثة مؤلمة.

ـ غريبة! لهذا الحد؟

ـ مو مشكلة، خلينه نستمتع بالجو الجميل.

انصهرت حرارة الشمس بحرارة جسديهما المتلاصقين، فشعرا بطاقة جعلتهما يسيران حتى المدينة دون الشعور بالإعياء. جلسا في ركن مقهى واجهته من الزجاج وراحا يحتسيان الشاي الأخضر وهما يتطلعان إلى زوار المقهى الذين تعددت جنسياتهم وألوانهم إذ غلبت عليها سمرة البشرة والشعر الغامق. تهادى في المقهى صوت موسيقى أغنية تركية. قفزت طفلة حين سماعها لترقص على إيقاعها بشكل عفوي غريزي.

غادرا المقهى، متطلعَين إلى مركز المدينة الضاج بالناس في نهاية أسبوع دافئة. اتجها نحو السوق الشرقي، وحينما دخلاه وقع نظرها على الرمان وقد صفه البائع على الرف بتناسق جميل. أخذت كيسًا وراحت تنتقي من فاكهة زوجها المفضلة، إلا أنه خاطبها ببرود:

ـ الأفضل ما نشتري اليوم رمان، بعدين إحنه راجعين مشي للبيت وما أريد نشيل أي شي.

تجوّلا في الأسواق، ثم قررا العودة إلى القرية الهادئة الواقعة على بعد مسافة نصف ساعة سيرًا على الأقدام. لم يكن الوقت متأخرًا على وجبة الغذاء، لذا تمهلا في الوصول إلى البيت. جلسا على مقعد خشبي في حديقة كانت تضج بالصغار والكبار من مختلف الأجناس. راحت زوجته تراقب المارة، بينهم من اصطحب كلابه معه، وتهز رأسها بين الحين والآخر مبتسمة لفرط الرقة والنعومة التي يعاملون بها حيواناتهم. كانت عينا رضا تجولان بين الناس،

لتتوقفا بين الحين والآخر على مشهد لافت لنظره. رجل مسن يمشي متمهلا، متأبطًا ذراع زوجته، أم تلبي رغبات طفليها بصبر دون تردد أو تذمر منهما. زفر رضا بقوة حسرةً أثقلت صدره. أسند رأسه على كتف زوجته مسدلا جفنيه، بينا هي غائبة بين صفحات كتاب.

كان صباح الجمعة في بغداد دافئاَ، وكانت فرحة رضا بلا حدود. قفز من فراشه ليغتسل، وقبل أن يرتدي قميصه وقف أمام المرآة ثانيًا ذراعه ومقلصًا عضلات زنده كمن يستعد للملاكمة. في انتظاره أولاد خالته، سيصلهم بصورة البطل الذي لا يُقهر. طوال الطريق إلى الحلة كان يخطط للمغامرة الجديدة والانتصار على أولاد الخالة الذين يتطلعون إليه كأحد أبطال القصص المصورة أو أفلام المغامرات. غاب في خياله حتى تناهى إلى مسمعه صوت أخته الكبرى صائحة:

ـ شوفوا هنا آثار بابل، بعد شويه ونوصل للحلة!

استوقفته جملة آثار بابل، لأنه كان يطمح لأن يكون رساما، لتصبح لوحاته خالدة كتماثيل بابل ونقوشها كما وصفها معلمه.

غمر الفرح عينيه حينما لاحت صورة بيت خالته. وقفت السيارة. نزل منها ثم انطلق راكضًا نحو باب البيت. استقبله أولاد خالته بحرارة لكنهم تركوه بعد أن نادت عليهم والدتهم ليسلموا على خالتهم وأولادها الآخرين. تسمّرت قدما رضا عند أغصان شجرة

رمان الجار المتدلية على السور في حديقة خالته. لم يستطع مقاومة إغواء أجمل رمانة، فقطفها بلا تردد، وإذا بصوت أمه التي اجتاحها الغضب، راكضة نحوه لتخطف الرمانة من يده وتصفعه بقوة مرددة بصوت مرتجف:

ـ شسويت رضا؟ تسرق رمانة الجيران؟

ـ لا يمه، لا.. لگيتهه واگعه.

وجهتْ له صفعة أخرى.

ـ وهالمرة تكذب؟ مو آني شفتك بعيني وإنت تگطعهه. يعني مو بس تريد تصير حرامي.. وكذاب ها؟.

ذرف رضا دموعًا لم يذرفها طوال أعوامه الثمانية. ليس بسبب الصفعتين على خديه، بل الإهانة وكسر عزيمته وتشويه صورة البطل أمام أولاد الخالة، ولربما شمتوا به.

بقي رضا طوال اليوم منكّسًا رأسه حزينًا، لم يجرؤ على إعادة الرمانة للجيران كما طلبت منه أمه، كان يعزّ عليه إيذاؤها أو عصيان أوامرها. لقد حز في نفس خالته وضعه المأساوي، لذا ارتدت عباءتها وخرجت لتعود بكيس من الرمان.

ـ تعال عيني رضاوي، لا تنقهر شوف شلون اشتريت لك أحسن وأطيب رمان.

لكن رضا لم يمد يده نحو الرمان ولم يتذوق طعمه بعد الرمانة الجميلة التي تحمّل من أجلها الذل والألم.

تجهمتْ الوجوه. كان أولاد خالته عاجزين عن مؤاساته خشية من أن يظل صامتًا طوال النهار حتى يفترقوا دونما كلمة.

دخلت خالته إلى المطبخ تتبعها أمه. حدقت الخالة إلى وجه أختها وبنبرة معاتبة قالت:

ـ آني ما أريد أتدخل بتربية أولادك، بس أختي ما يصير تضربين الولد گدام ولد خالته على مود رمانة، وتكسرين خاطره.

ـ المشكلة مو الرمانة، أخاف يتعلم يمد إيده على شي أكبر ويروح الولد من إيدي.

كان الغذاء جاهزًا إلا أنهن بقين في المطبخ يوشوشن بعضهن البعض بأسرارهن وهمومهن اليومية ومتاعب الرجال والأولاد، وترتفع حرارة الكلمات وتتأجج المشاعر مع الأكلات الشهية الساخنة. حل صمت مريب للحظات حينما دخلت الفتيات المطبخ، وبهذا أنهت الأمهات كلامهن طالبات من البنات أن يحملن الأكل إلى الحديقة ليتغذوا هناك.

كان رضا يجلس قبالة أغصان شجرة الرمان حيث اتكأت على السور، وكلّما وضع لقمة في فمه، شعر بغصة. كانت خالته تختلس النظر إليه بين الحين والآخر فتحثه على الأكل:

ـ أكل عيني رضاوي اليوم كثّرت الكشمش بالتمن لخاطرك!

ـ شكرًا خالة، دا آكل. ـ رد بصوت كاد يكون همساً ـ.

في ذلك اليوم لم ينم أحد القيلولة احتفاءً بالضيوف حتى شربوا شاي العصر. تسامرت البنتان مع بنات خالتهن. وفضل رضا الرسم على اللعب، عله في ذلك يريهم موهبته.
مرّ اليوم ثقيلاً، مؤلمًا لرضا. ودّع مضيفيه بابتسامة مشوبة بالحزن الدفين. ضمّته خالته إلى صدرها وقبّلتْ رأسه. ركبت أمه السيارة مادة له يدها. جلس أخوه الأكبر في المقعد الأمامي، وأختاه إلى جانبه. انطلقت السيارة نحو بغداد، كانت عيناه تراقبان الطريق والنخيل حتى غامت الرؤية، فوضع رأسه في حضن أمه ونام. راحت أمه تمسد رأسه بحنو.
رأى رضا يد امرأة عجوز، تمسك بخناقه وتقوده نحو شجرة رمان زاعقة:
" تقطع الرمانة؟ حرامي، تعرف شنو مصير السارق؟ جهنم وبئس المصير. تعال أكل كل الرمان!"
كان رضا يرتعش مرعوبًا يتوسل إليها بصوت متهدج:
" التتتتوبة.. التوووبة.. ما ريد رمان"
انفلقت ثمار الرمان وسال منها سائل ليس أحمر، بل هو قريب إلى السواد، وضعت رأسه تحت الشجرة ليشرب منه، وكان مرًا كالعلقم، حاول جاهدًا زم شفتيه كيلا يشرب منه، لكن السماء أنقذته بقطرات مطرها. جفل فاتحًا عينيه ليتحسس دمعة أمه على خده وهي تولول:

ـ شسوي يا إبني؟ يعني إنتَ عبالك آني أفرح من أضربك؟ لازم أربّيكم زين حتى لو صرت قاسية وياكم.. وأنت..أنت عمرك سنة ومات أبوك الله يرحمه، مات شاب عمره اثنين وثلاثين سنة وخلاكم برگبتي، لازم تصيرون رياجيل ونسوان أفتخر بيكم يا وليدي!.

وقبل أن تنساب دمعته من عينيه، تناهى إلى مسمعه صوت طفلة تركية تنادي أمها باللغة الألمانية:

ـ ماما..ماما.. أخي أخذ رمانتي!

وضعت زوجته يدها على رأسه وراحت تداعب شعره الذي خطه الشيب برقة وبصوت ناعم عاتبته:

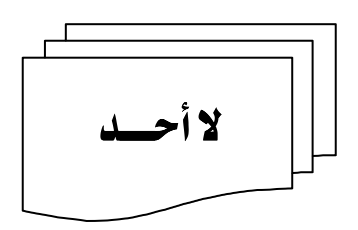
ـ شايف ما خليتنه نشتري رمان!

رفع رأسه من على كتفها معتذرا لها بلطف.

ـ ما يخالف حبيبتي، إنشاء الله بالأسبوع القادم. وبعدين هذا مو طيب مثل رمان العراق! .

نيسان ٢٠٠٧

• • • • •



توشح بخيبته دافنًا رأسه في وسادته بينا هي تغط في نومها لاهية عنه بحلمها. ينفث جسدها رائحة لم تعد تثيره منذ زمن مضى. لم يعد شعرها حريرًا يدغدغ بتماوجه جسده. تنقلب نحوه ودون دراية منها تلامس أناملها ظهره العاري فلم يشعر بشيء، لقد فقدت ذبذباتها المغناطيسية، إذ لم تعد توقظ فيه فحولته.

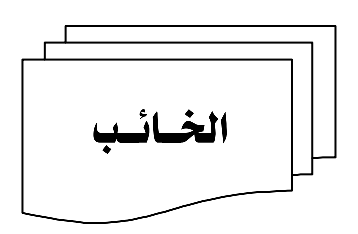
ظل دافنًا رأسه في قطن وسادته يعد الأرقام حتى تعب ونام.

قطن وسادته تحول إلى سديم في قبة السماء. لم يلمح منها سوى رمان شفتيها القرمزيتين. تبتسم حينًا وتزم شفتيها حينًا آخر وكأنها لا تقوى على مناداته. يتكاثف السديم ثم ينشق ليكشف عن عينيها وهي تغمز له. يرتبك محاولاً النهوض، لكنه يشعر وكأن ساقيه مكبلتان بفولاذ ثقيل. تندفع يدها نحوه شاقة الغيم الكثيف فيرتعش قلبه باسطًا يده نحوها فيقبض على كتلة بيضاء حالما تتحول إلى فراغ. يفتح فمه بصعوبة لينادي الفم القرمزي متشبثًا بغيمة زرقاء مناديًا: تعاااالي... تعاليييييييي...

يفيق على صوتها الذي صار أشبه بالفحيح وهي تقول:
" أطلق قميص نومي ستخنقني... لا أحد يجيء.. لا أحد ".

بودابست
٢١ - ١١ - ٢٠١٠

• • • • •



الخـائـب

شعر وكأنه نمرٌ جريحٌ سُجِن في قفص لا يستطيع الفرار منه، وما عليه إلا أن ينتظر رحمة سجَّانه.

حام حول نفسه في قفصه المتعدد المنافذ فتفاقم شعوره باللا جدوى، بوجوده الذي بات قريبًا إلى العَدَم.

" ما جدوى وجوده.. ما الذي يدعوه لأن يستمر في هذه الحياة بلا حياة؟"

جلس خلف طاولته محاولا الكتابة. بدا رأسه خاوياً كيف لا وهو مصاب منذ عام بعنّة فكرية أفقدته البهجة بكل شيء حتى امتدت عنّته إلى فراشه إذ صار يتهرب منه لائذًا بالشراب ومتحججًا بالكتابة حتى يبزغ الفجر فيسكت عن محاكاة ذاته.

" يجب أن أضع حدًا للمعاناة، لم أعد أطيق الكذب على نفسي وعلى الآخرين، يجب.. يجب"

دخل الحمام محدقًا إلى وجهه الشاحب المتعب من تراكمات غبار الزمن. التفت نحو الحوض. ماذا لو ملأه بالماء ونام فيه إلى الأبد؟ لم ترق له الفكرة. استدار متجهًا نحو المطبخ، ربما الغاز؟ أو

سكين حاد؟ لا.. لا هذا موجع.. لابد من شيء سريع يطفئ حياته دون ألم ومعاناة طويلة.. آه الشرفة العالية.. قفزة من الطابق العاشر وينتهي كل شيء. كاد يدوخ وهو يتطلع إلى الأرض البعيدة.. شد الهمة متأهبًا للقفز.. رفع ذراعيه كطائر يستعد للتحليق في الفضاء الفسيح فاصطدمت بأصيص ورد فخاري كبير سقط على قدمه. هوى جسده ساقطًا على أرض الشرفة يتلوى ألمًا. ارتعب لرؤية الدم المتدفق من وريد قدمه. ارتجفت أحشاؤه شاعرًا بالغثيان:

" يا إلهي سأموت.. سأموت"

سحل قدمه زاحفًا نحو الصالة ليبحث عن هاتفه.. ارتجفت أصابعه وهي تبحث عن رقم زوجته.

" تعالي.. تعالي.. أنقذيني.. سأموت.. سأموت!"

بقي ممددًا على السجادة التي تلونت بدمه حتى وصلت زوجته مرتعبة لاهثة. وضعت الكيك على الطاولة. رفع رأسه بصعوبة فتجمدت نظراته على الرقم ٦٠.

بودابست
٢٣ - ١١ - ٢٠١٠

• • • • •



أصبحت كلبًا

بدا رواق المستشفى في قسم الأمراض الصدرية الجديد طويلاً جدًا، تنبعث منه رائحة الطلاء المخدشة للجهاز التنفسي، وبات المراجعون يلوذون بين الحين والآخر بالنافذة الكبيرة في نهايته والمطلة على حديقة المستشفى المستكينة على مرتفع جبلي، ومن لم يأت بعربة عليه الصعود مشيًا، وهذا ما يجعلنا نعلم بوصول المرضى ومرافقيهم يسبقهم صوت اللهاث الكاسر لسكون الرواق قبيل رؤيتهم... الجميع ينتظر، وجوه كالحة لا يمكن تمييز صاحبها إن كان مريضًا أو مرافقًا لمريض، تجمعها صفات مشتركة من شحوب، ذهول، خيبة وربما أمل، لا نعرف إن كانت تتألم أم تعاني نفسيًا. يظل القلق المستبد بأرواحهم سيد المكان.

في ذلك اليوم بدأ العمل رسميًا في القسم حتى أننا لم نعلم أين توجد طبيبتنا إلا بعد أن خرجت فجأة من إحدى الغرف. لم تُعلَّق لوحات باسماء الأطباء ولم توضع كراسٍ للمرضى بعد. نقف جميعًا. بعد ساعة بدأت قوى بعض المرضى بالهفوت، إحساس جارف بالتوقع السيء. يضيق صدر رجل، فيغمغم بكلمات مبهمة متكئًا على كتف

زوجته. تُخرج إحدى السيدات فطورها، مستديرة نحو الجدار لتناوله بعد أن تُعدل باروكتها. تنتهي منه، عيناها تزوغان وكأن الرؤية قد غامت فتقرفص متكئة بظهرها على الجدار شديد النظافة اللامع.

لا أحد ينطق بكلمة، لا تذمر، لا استياء. كان ظهور الطبيبة المفاجئ بادرة خير للجميع، أي سيصلنا الدور ولكن متى وكيف؟!

لا أحد يدري. المهم أنها هنا نعم هنا وسيعرف من بين المنتظرين نتيجة فحوصه والآخر طريقة علاجه لا بل الى متى سيستمر وهل كان مفيدًا أو بلا جدوى وربما استفحل عليه المرض، ومع ذلك علينا الانتظار. لمح رجل رعشة خفيفة على شفتي زوجته فراح يشد على كفها بيد وبالأخرى يربت كتفها.

عادت الطبيبة لتلقي التحية على الوافدين الجدد وتدخل الغرفة غالقة الباب خلفها. غابت ابتسامة البِشر عن الوجوه البائسة بعد اختفائها ثانية. تخرج بحذر دون أن تلتفت إلى أي منا خشية السؤال، فتشرئب أعناقنا جميعًا وتتجمد الابتسامة على شفاهنا ثم ترتسم الخيبة في أعيننا حين نتطلع إلى بعضنا البعض.

تكررت تلك الحالة لعشرات المرات: أعناق متلعة، ابتسامة ترحيب إثباتًا لوجود صاحبها ونظرة انتظار مستجدية.

لم أعد أطيق ذلك الوضع فرحت أتمشى في الرواق وتوصلت إلى أن طوله خمسون مترًا لأني لم أعرف للوهلة الأولى سر وجود

تلك الأرقام على الجدار، إلا بعد أن حسبت عدد قطع البلاط ضاربة طولها بالعدد بين رقم وآخر، حينئذ عرفت أنه المتر. بينا كنت مشغولة بتعداد المرات رواحًا- مجيئًا حتى وصلت العشرين، أي أنني سرت كيلومترًا، كان بعض المرضى والمرافقين ومن بينهم زوجي قد نفد صبرهم. اتقدت النار في الوجوه الشاحبة، فقدت أصوات بعضهم نغمتها وصارت أشبه بالفحيح، والطبيبة خارجة- داخلة ويتكرر المشهد.

ذكرني وضعهم بمنظر الكلاب التي تُربط ُعند باب مخازن التسوق، فتجد الكلب يرفع رأسه لينط مهللا لأي شخص يخرج من المحل معتقدًا بأنه صاحبه.

ها أنا آخر الكلاب إذن، أدخل لمقابلة صاحبتي لتقرر مصيري بعد أربع ساعات انتظار، استلمت الدواء، وحينما حددتْ الموعد القادم في الساعة الحادية عشرة صباحًا فطرحت عليها السؤال:

- يعني متى يجب أن نكون هنا؟

- في التاسعة تقريبا.

رددت بسؤال آخر ضاحكة:

- لماذا كي ننتظر ساعتين... وهل هو مقرر علينا كما اعتادوا القول في السنة الدراسية؟

نظرت إلي مبتسمة كي تخفي تذمرها لتقول:

- تعالي متى شئتِ!

شكرتها وقبل أن أخرج طلبت منها تقريرًا طبيًا عن حالتي المرضية لأنني قررت السفر وليس لدي جواز سفر أحتاجه ربما للعلاج في بلد أوربي آخر. كتبته. وضعتُه في حقيبتي متجهين صوب البيت لتناول الغداء، وكانت ابنتي في انتظارنا.

لقد تلبستني حالة الكلب. كان الغداء أفخاذ الدجاج المشوية مع الرز. سلخت اللحم عن العظم وحين رؤيتي للعظم بدأت أصدر أصوتًا كلبية " عووو عووو" ثم انقضضت على العظم لأقضمه ونابحة بصوت خفيض تعبيرا عن فرحي به:

- عووو.. عووو.

الغريب في الأمر أن ابنتي أصبحت أكثر رقة فمدت يدها بحنو لتمسد على يدي، أما زوجي فكان لاهيًا بهضم تبعات الانتظار وطعامه ولم يدرك تحول زوجته إلا بعد أن شكرنا على الغداء فرددت بنباح بشوش أعلى:

- عو عو عو...

في عصر اليوم نفسه كان علينا الذهاب إلى دائرة شرطة الأجانب لمحاولة الحصول على وثيقة سفر مجرية تمكنني من التنقل في أوربا لكوني مقيمة في إحدى دولها. كان الرد هو يجب الحصول على ورقة من السفارة العراقية تثبت بأنهم لم يستطيعوا منحي جواز سفر عراقي لأنه لا توجد لديهم مثل هذه الامكانية.

في السفارة وبعد الرفض الأول لم أنبح هذه المرة بل أصبت بالسعار وأصبحت كالكلب المسعور دون أن يلمحوا ذلك. بعد أخذ ورد بينهم ودراسة لوضعي الصحي، استلمت الورقة. وبغبطة نبحت بكل ما أملك من طاقة حتى تحول نباحي إلى عواء:

- عاوووووووووووووووووووووو....

مكان آخر أُمسخُ فيه إلى كلب!!

أعددنا كل الأوراق متوجهين الى دائرة شرطة الأجانب، وكان زوجي على يقين بعدم استلام الوثيقة. دخلنا وانتظرنا بعد توجيه رجل الاستعلامات. كان الرقم ٤ قد أُضيء فأسرعنا نحو السيدة المسؤولة عن معاملتي. بينما كانت المرأة تتفحص الأوراق وتقارنها مع المعلومات في الحاسوب كنت أتساءل في داخلي: " لماذا يفقد المرء بعضًا من معالم شخصيته في مثل هذه الأماكن كي يصبح أكثر وداعة إذا اقتضى الأمر وليمر كل شيء بسلام؟

قطع زوجي تلك الأفكار كرجل قانون عندما استفزها بسؤال يحملهم مسؤولية الخطأ في تغيير تاريخ إقامتي. رمقتْه بنظرة حادة ولاكزة قدمه ورحت أداري الموقف بلطف معها، فاعتذرتْ عن ذلك ثم استدارت نحوي لتسألني:

- تقيمين عندنا منذ زمن طويل ومتزوجة هنا ولك بنت مجرية ولم تقدمي على الجنسية المجرية لماذا؟!

رفعت كتفي، زامة شفتي لأرد:

- اردت أن أبقى عراقية لا غير.

- حسنًا انتهيت من كل شيء... متى ترغبين في الحصول على وثيقة السفر أي يوم يناسبك في هذا الشهر؟

اخترت اليوم وتوجهنا نحو موظف آخر كي يعلمنا الوقت وما هي وثيقة السفر التي تحل محل جواز السفر.

- سيدتي ستستلمين جواز سفر يُمنح لمن ليس لهم وطن..

قاطعته بصوت باكٍ:

- لا.. لكن أنا عندي وطن....

- لكنك لا تملكين جواز سفر وطنك..

حاولت مجددا أن أشرح له، لكن زوجي أثناني عن ذلك، فابتلعت غصتي وسكت.

غادرنا المكان. كنت أئن ككلب ركل في بطنه. طلبت من زوجي أن نسير قليلاً لأنفّس عن ألمي وغضبي وهو يشرح ويعيد:

- عزيزتي.. هذا مجرد قانون لا أكثر..

لم أرد وكانت الريح القوية تقف إلى جانبي حينما راحت الدموع تسيل من عيني دون إرادتي فتذرعت بها.

"هكذا إذن تصدَّق علي المجريون بجواز سفر لمن ليس له وطن!"

دخلنا البيت وكنت كمن فقد عزيزه.

أسرع زوجي نحو ابنتنا:

ـ أمك فقدت صوابها عندما قالوا لها" ستحصلين على جواز لمن ليس لهم وطن"

ـ حقها بابا... أنت لا تفهم ذلك.. حقها.. حقها..

لذتُ بالركن الدافئ أمام التلفاز لأسمع أخبار الوطن. كان الدم يسيل في كل ركن من الشاشة.. نِعال وأحذية بمختلف القياسات، عباءات تطايرت في الفضاء وماتت النساء بلا حجاب، حقائب مدرسية وأقدام دامية. "لا حول ولا قوة إلا بالله.. ليش ليش؟!"

أسرعت ابنتي لتغلق الجهاز. تهادى من الخارج صوت امرأة ظننتها تناغي طفلا رضيعًا، ذهبت نحو باب الشرفة لأتطلع إليها. كانت تناغي كلبها الصغير العنيد.

أحسست بنفسي أضيع وسأهوي على أرض الشارع حيث الكلب وصاحبته فالتفتُ نحو زوجي:

ـ لا أريد الانتماء إلى أي بلد ولا لأي أرض.. سأموت ككلب صغير.. احرق جثته ولا تدفنها في التراب.. احرقها وذر رمادها فوق الغابات!.

عاووووووووووووووو.

٥ - ٦ - ٢٠١٤

• • • • •



المؤلفة في سطور

- كاتبة وفنانة وإعلامية عراقية من مواليد مدينة الحلة (بابل). ومقيمة حاليًا في هنغاريا - بودابست.
- تخرجت من أكاديمية الفنون الجميلة عام ١٩٧٢ فرع النحت.
- عملت نحاتة في تليفزيون بغداد بين الأعوام ١٩٧٢ - ١٩٧٨

وفي نفس الوقت مقدمة لبرنامج ثقافي مختص بالفن السينمائي (السينما والناس).

- في ١٩٧٨ عملت في مركز الحرف والصناعات الشعبية كنحاتة لأكثر من سنة.
- غادرت العراق إلى هنغاريا (المجر) في ١٩٧٩.
- أكملت دراستها في الفن السينمائي لتحصل على شهادة الدكتوراه من أكاديمية العلوم المجرية.
- كتبت عن السينما العربية والمجرية.
- عملت في المعهد العالي للسينما والمسرح المجري لمدة سنتين.
- ترجمت العديد من القصص العربية القصيرة إلى المجرية لمجلة مختصة بالأدب العالمي.

- ترجمت كتاب "يوميات في العراق" لمراسل صحفي مجري.
- ترجمت مختارات من الشعر المجري وقصص قصيرة نُشرت في عدد من المجلات العربية وعلى الإنترنت.
- أعدت للإذاعة المجرية مواد عن بعض الكتاب العرب كنجيب محفوظ وفؤاد التكرلي ويوسف إدريس

مع ترجمة قصص قصيرة لهم مُثلت وأُذيعت.

- ترجمت قصص فلسطينية قصيرة مختارة إلى المجرية لتُنشر في كتاب.
- ترجمت وشاركت بكتابة سيناريو وحوار فيلمي كارتون (حي بن يقظان) للكاتب ابن طفيل، وفيلم "أصيلة" (الفَرَس) إضافة إلى دراماتورجيا فيلم أصيلة من إنتاج الفنان مروان الرحباني.
- أصدرت في عام ٢٠١٠ كتابها (ذاكرة الأشياء) فصول من سيرة ذاتية، عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام بالقاهرة.
- أصدرت في عام ٢٠١٥ مجموعتها القصصية (عندما نحب) ، عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام بالقاهرة.

- البريد الإلكتروني : itikalmaha@yahoo.co.uk

الفهرس



(+2) 01288890065 /(+2) 02 27238004

www.shams-group.net